(٤)

ديوان عبد الله بن المبارك

obeikandl.com

obeikandl.com

دفع البلايا

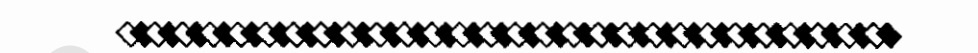

● قال عبد الله بن المبارك في وصف الشباب المحبّين لله والمطيعين له:

١ ـ عَبِيدٌ لِمَوْلاَهُم تَعَالَى وَغَيْرُهُم
عَبِيدُ الهَوَى بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ كَالثَّرى

٢ ـ وَعُلُوُّ الثُّرَيَّا في ارْتِفَاعِ مَقَامِهِم
بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ البَلاَيَا عَنِ الوَرَى

---

١ ـ الثرى: التراب، أو الندي منه.

٢ ـ الثريا: مجموعة من النجوم. المقام: المنزلة. البلايا: المفرد: البلية أي: المصيبة والمحنة تنزل بالمرء. الورى: الخَلق.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (روض الرياحين في حكايات الصالحين) صفحة ١٥٢ ـ ١٥٣].

● روى عبد الله بن محمّد قاضي نصيبين، حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن أبي سُكَينة، قال: أملى عليّ ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومائة، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس(*):

١ ـ يَا عَابِدَ الحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا
لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ

(*) نصيبين: مدينة في بلاد مما بين النهرين (تركيا حالياً) كانت منذ القرن الثالث الميلادي مهد الآداب حتى سقوطها في أيدي الساسانيين سنة ٣٦٥م، وهي كثيرة المياه وعليها سور كبير، وبها جامع كبير حسن العمارة. قال الشاعر:

وقد ألقت نَصِيبين إلينا سوادَ البطنِ بالخرج الشِّدادِ

طرسوس: سبق التعريف عنها في الفصل ٣ القصة رقم ٨. الفضيل بن عياض: سبق التعريف عنه في الفصل ٣ قصة رقم ٩.

١ ـ الحرمان: بمكّة والمدينة اللذان حرّم الله فيهما ما حرم، مما يجب فيه الجزاء والعقوبة للمنع منه، فحرم إبراهيم عليه السَّلام مكة، وضرب عليه المنار حول مكّة فما كان داخل المنار فهو حَرَم، وما كان خارجه فهو حل، وحرم رسول الله ﷺ المدينة.

٢ ـ مَنْ كَانَ يَخْضِبُ جِيدَهُ بِدُمُوعِه
فَنُحُورُنا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ

٣ ـ أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ
فَخُيُولُنا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتْعَبُ

٤ ـ رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرنا
رَهَجُ السَّنَابِكِ وَالغُبَارُ الأَطْيَبُ

٥ ـ وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا
قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لاَ يُكْذَبُ

٦ ـ لاَ يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ الله فِي
أَنْفِ امْرِىء ودُخَانُ نَار تَلْهَبُ

---

٢ ـ يخضب: يغيّر لونه، والخضاب: ما يخضب به من حنّاء ونحوه، النحور: المفرد: النحر: أعلى الصدر، وموضع القلادة منه.

٣ ـ الصبيحة: الصباح. ويوم الحرب.

٤ ـ العبير: أخلاط من الطيب. الرَّهَج والرَّهَج: الغبار. السّنابك: جمع سنبك، طرف مُقَدَّم الخيل، وجانباه من قُدَّام. وهي في الأصل كلمة معربة.

٥ ـ المقال: القول، والقطعة من الكتاب.

٦ ـ يشير ابن المبارك إلى الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٥٦ و٣٤٢ و٤٤١) النسائي في سننه (٦/ ١٢/ و١٣ و١٤) والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ١٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً». وفي سنده ابن اللجلاج لم =

٧ ـ هٰذا كتابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا
لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لاَ يُكْذَبُ

= يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وله طريق آخر عند الإمام أحمد (٢/ ٣٤٠) والنسائي (٦/ ١٢ و١٣) والحاكم (٢/ ٧٢) من حديث الليث، عن محمّد بن عجلان، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، وهذا سند حسن، وصحّحه ابن حبّان في الحديث رقم (٢٥٩٧) و(١٥٩٩).

٧ ـ إشارة إلى الآية الكريمة رقم ١٦٩ من سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. قال محمّد بن إبراهيم: فلقي الفضيل بكتابه في الحرم، فقرأه وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرَّحمن ونصح.
[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨، صفحة ٤١٢ و٤١٣، وكتاب: (تفسير ابن كثير) الجزء ٢ صفحة ١٩٣ و١٩٤. وكتاب: (الجهاد) صفحة ٩].

● قال أبو العباس السراج: أنشدني يعقوب بن محمّد لابن المبارك:

١ ـ أَبِإِذْنٍ نَزَلْتَ بِي يَا مَشِيبُ
أَيُّ عَيْشٍ وَقَدْ نَزَلْتَ يَطِيبُ

٢ ـ وَكَفَى الشَّيْبَ وَاعِظاً غَيْرَ أَنِّي
آمِلُ الْعَيْشَ وَالْمَمَاتُ قَرِيبُ

٣ ـ كَمْ أُنَادِي الشَّبَابَ إِذْ بَانَ مِنِّي
وَنِدَائِي مُوَلِّياً مَا يُجِيبُ

---

١ ـ المشيب: الشيب، وهو بياض الشعر أو الشعر الأبيض نفسه.

٢ ـ واعظ: الناصح والمذكّر بالعواقب، يقال: السعيد من وُعِظ بغيره والشقي من اتّعظ به غيره.

٣ ـ بان: ظهر. مولي: غائب. وفي هذا الأبيات يناجي ابن المبارك نفسه ويعلّلها بالكبر، وأنّها أصبحت على مشارف الموت. أخرج البيهقي عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلاّ كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة» انظر الجامع الصغير للسيوطي الحديث رقم (٤٩٦٧).

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٦].

● ولابن المبارك:

١ - جَرَّبتُ نَفْسِي فَمَا وَجَدْتُ لها
مِنْ بَعْدِ تَقْوَى الإِلهِ كَالأَدَبِ

٢ - في كُلِّ حَالاَتِها وَإِنْ كَرِهَتْ
أَفْضَلَ مِنْ صَمْتِها عَنِ الكَذِبِ

٣ - أَوْ غِيْبَةِ النَّاسِ إن غِيبَتُهُم
حَرَّمَهَا ذُو الجَلاَلِ فِي الكُتُبِ

---

١ ـ الأدب: رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي، الجمع: آداب في شعر الفقهاء: أدبت.

٢ ـ كرهت: أبت ونفرت منه. الصمت: السكوت. الكذب: نقيض الصدق، وهو الإخبار عن أمر بخلاف ما هو عليه، قال تعالى في سورة يوسف الآية ١٨: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

وقد ورد هذا البيت في: (شعر الفقهاء). بهذا النص: في كل حالاتها وإن قَصُرت. وفي الصمت يقول الكناني:

الصمتُ غنمٌ لأقوامٍ ومَسْتَرَةٌ والقَوْلُ في بعضه التضليلُ والفَنَدُ

٣ ـ الغيبة: أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره ويسوء ذكرُهُ. وهذا البيت إشارة إلى الآية=

٤ ـ قُلْتُ لَهَا طَائِعاً وَأُكْرِهُهَا
الحِلْمُ والعِلْمَ زَيْنُ ذِي الحَسَبِ

٥ ـ إِن كَانَ مِنْ فَضَّةٍ كَلاَمُك يَا
نَفْس فَإِنَّ السُّكُوتَ مِنْ ذَهَبِ

= الكريمة رقم ١٢ من سورة الحجرات: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.
قال أبو الحسن منصور التميمي في النمّام والكذّاب:

لي حيلةٌ فيمن يَنِمُّ ... وليسَ في الكذابِ حيلهْ
من كان يخلقُ ما يقول ... فحيلتي فيه قليلهْ

٤ ـ الحسب: ما يعده المرء من مفاخر آبائه. وهو: المال، والدِّين، والكرم، والشرف في الفعل. ولم يرد هذا البيت في (شعر الفقهاء).

٥ ـ في هذا القول يقول الإمام الشافعي: (صفحة ٣٣):

وجدتُ سكوتي متجراً فلزمتهُ ... إذا لم أجدْ ربحاً فلست بخاسرِ
وما الصمت إلاَّ في الرجال متاجرٌ ... وتاجُرهُ يعلو على كلِّ تاجرِ

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٦ وكتاب (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٠، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) «المعهد» الجزء ٦].

لا خير في المال

● ينصح ابن المبارك بجميل الأخلاق كالكرم الذي لا يُحمد ثراء من دونه، وما أكثر أن يثمر ذوي الحاجة ثماراً ناضرة، ونشوة فرحة، فيقول:

١ ـ لاَ خَيْرَ فِي المَالِ لِكُنَّازِهِ
إِلاَّ جَوَادِ الكَفِّ وَهَّابِهِ

٢ ـ يَفْعَلُ أَحْيَاناً بِزُوَّارِهِ
مَا يَفْعَلُ الخَمْرُ بِشُرَّابِهِ

---

١ ـ الكناز: مدّخرو المال ولم ينفقوا منه ما يطلب إنفاقه، فهو كانز، والمال: مكنوز، وكنيز. قال تعالى في سورة التوبة الآية ٣٤ ـ ٣٥: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

الجواد: الكريم.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٩. وكتاب: (روضة العقلاء) صفحة ٢١٣، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) «المعهد» ج٦].

فراق الحياة

● قال ابن المبارك في توديع رجل:

١ ـ وَهَـوَّنَ وجْـدي أَنَّ فِـرْقَـةَ بَـيـنَـنَـا
فِـــراقُ حَـــيَـــاةٍ لا فِـــرَاقُ مَـــمَـــاتِ

---

١ ـ الوجد: الحب الشديد. الفُرقة: الافتراق. وفي هذا الصدد قال النابغة الذبياني: صفحة ٣٨ من الديوان:

لاَ مَرْحَبَاً بِغَدٍ، وَلاَ أَهْلاً بِهِ إنْ كَانَ تفريقُ الأَحِبَّةِ فِي غَدِ

[مصدر هذا البيت من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٠، وكتاب: (طبقات الشعراني) الجزء ١ صفحة ٦٠، وكتاب: (بهجة المجالس) الجزء ١ صفحة ٢٤٦].

obeikandl.com

لا أخالك ناجيا

● قال عبد الله بن المبارك لأصحابه: سأحدّثكم ببيت من شعر، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: ما نصنع بالشعر، فأنشدهم:

١ ـ إِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمةٍ
وَإِلاَّ فَإِنِّي لاَ إِخَالُكَ نَاجِيَا

«فأخذ القوم يبكون بكاء ما شوهدوا يبكون من شيءٍ ما بكوا يومئذ».

---

١ ـ إخالك: مصدر: خيل: خال الشيء، خيلاً، ومخيلة، ومخالة، وخيلاناً: ظنَّهُ. والأفصح في مضارعه المسند إلى المتكلّم كسر الهمزة (إخالك ناجياً): وفتح الهمزة لغة، وهو ينصب مفعولين.
[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٤].

اغتنام السكوت

● من أسباب ورع ابن المبارك ألاّ تفوته فرصة من فراغ المشاغل دون أن يقضيها في محراب الطاعة وجناب الرَّحمٰن، وكذلك ألاّ يزلّ في قول باطل ولا كلمةِ حَرام، وأن يستبدل بما من شأنه ذلك ذكراً مسبِّحاً أو سكوتاً سالماً، فيقول:

١ ـ اغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللهِ
إِذَا كُنْتَ فَارِغاً مُسْتَرِيحا

٢ ـ وَإِذَا هَمَمْتَ بِالنُّطْقِ بِالبَاطِلِ
فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحا

---

١ ـ الزلفى: المنزلة والدرجة المقرّبة، (وألفها للتأنيث). قال تعالى في سور سبأ الآية ٣٧: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾. أي قربة، وقد ورد هذا البيت في (شعر الفقهاء) بإضافة (واو) في أوله: واغتنم.

٢ ـ هممت: قصدت وعزمت القيام به. الباطل: الذي لا يثبت عند الفحص، الجمع: أباطيل، والباطل عند الفقهاء: ما لا يكون مشروعاً بأصله، ويفرّق الحنفية دون غيرهم بين الباطل والفاسد فيقولون: الباطل: ما لا يكون مشروعاً بأصله ولا بوصفه، والفاسد: ما كان مشروعاً بأصله دون وصفه. التسبيح: مصدر: سبَّح: إذا قال: «سبحان الله» و«سبحانك اللّهم» اسم مصدر من قولك: سبّحت الله تسبيحاً أي: نزّهته عن النقائص، وعما لا يليق بجلاله.

٣ ـ فَاغْتِنَامُ السُّكُوتِ أَفْضَلُ مِنْ
خَوْضٍ وَإِنْ كُنْتَ بِالكَلاَمِ فَصِيحا

---

٣ ـ السُّكوت: الصَّمت. خاض في الكلام: أتى بالباطل وكَذَبَ. الفَصيحُ مَن يُحسن البيان ويميز جيد الكلام من رديئه، يقال: كلام فصيح أي: سليم واضح يُدرك السمع حُسنه والعقل دقّته. ولسان فصيح: طَلْقٌ يعين صاحبه على إجادة التعبير. ورد هذا البيت في كتاب (شعر الفقهاء) بهذا النص:

إنَّ بَعْضَ السّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْـ ـقِ إذَا كُنْتَ بِالكَلاَمِ فَصِيحا

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٧، وكتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٧. وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٨. وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

obeikandl.com

● ها هو ابن المبارك يصرّح بحبّه لعلي وعثمان فقد كان الإمام قدم صدق منذ فجر الدعوة، وكان عثمان تقياً ورعاً. فيقول:

١ ـ يَـابـنَ عَـمِّ الـنَّـبِـيِّ لاَ أُنْـسَ إِلاَّ
حَـيْـثُ خَـيَّـمْـتَ مِـنْ جَـمِـيـعِ الْـبِـلاَدِ

٢ ـ أَنْـتَ نُـورُ الـرَّبِـيـعِ تَـفْـتَـقِـرُ الأَ
رْضُ إِلَـيْـهِ لِـحَـاضِـرٍ وَلِـبَـادِ

٣ ـ فَـإِذَا خَـيَّـمَـتْ رِكَـابُـكَ أَرْضـاً
أَزْعَـجَـتْ خِـيـفَـةً قُـلُـوبَ الـعِـبَـادِ

---

١ ـ ابن عمّ النبيّ: هو الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، انظر ترجمته في القصيدة رقم (٥١). الأنس: ذهاب الوحشة، والطمأنينة.

٢ ـ لباد: مصدر بدو نسبة إلى البادية.

٣ ـ الركاب: الإبل التي تركب، الواحدة: راحلة، الجمع: رُكُبٌ، وركائب.

٤ ـ زِدْتَـهَـا فَـاسْـتَـزَدْتَ بَـهْـجَـةَ دُنْـيَـا
لَكَ فَـوَافَـيْـتُـمـا عَـلَـى مِـيـعَـادِ

---

٤ ـ البهجة: حسن لون الشيء ونضارته، وظهور الفرح وضحك أسارير الوجه. الميعاد: وقت الموعد وموضعه. الجمع: مواعيد.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٠٥. وكتاب: (أخبار القضاة) الجزء ٣ صفحة ٣٩٩].

obeikandl.com

● رأى عبد الله بن المبارك أبا العتاهية يلبس الصوف فقال:

١ ـ أَيُّهَا القَارِىءُ الَّذي لَبِسَ الصُّوفَ
وَأَضْحَى من بَعْد في الزُّهَّادِ

٢ ـ إلْزَم الثَّغْرَ والتَّعَبُّد فِيهِ
لَيْسَ بَغْدَادُ مَنْزِلَ العُبَّادِ

٣ ـ إنَّ بَغْدَادَ لِلْمُلُوكِ مَحَلٌّ
وَمُنَاخٌ لِلْقَارِىءِ الصَّيَّادِ

---

١ ـ القارىء: الناطق بألفاظ الكتابة عن نظر، أو عن حفظ. الزهّاد: العباد، المفرد زاهد، والمؤنّث: زاهدة.

٢ ـ الثغر: الموضع يُخاف هجوم العدو منه، ومنه سمّيت المدينة على شاطىء البحر ترسو فيها السفن. العبّاد: الذين يقيمون الشعائر الدينية.

٣ ـ مناخ: مصدر: نوخ، أي: محل الإقامة.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٧].

● قال حبّان بن موسى: سمعتُ ابن المبارك ينشد:

١ ـ كَيْفَ القَرارُ وَكَيْفَ يَهْدَأُ مُسْلِمٌ
وَالمُسْلِمَاتُ مَعَ العَدُوِّ المُعْتَدِي

٢ ـ الضَّارِبَاتُ خُدُودَهُنَّ بِرَنَّةٍ
الدَّاعِيَاتُ نَبِيَّهُنَّ مُحَمَّدِ

٣ ـ القَائِلاتُ إِذَا خَشِينَ فَضِيحَةً
جُهْدُ المَقَالَةِ لَيْتَنَا لَمْ نُولَدِ

٤ ـ مَا تَسْتَطِيعُ وَمَا لَهَا مِنْ حِيلَةٍ
إِلاَّ التَّسَتُّرَ مِنْ أَخِيهَا بِاليَدِ

---

١ ـ القرار: المكان والثبات.

٢ ـ الرنة: الصوت الحزين عند الغناء أو البكاء، والصيحة الشديدة، الجمع: رنّات. الداعيات: هنا بمعنى المناديات والطالبات.

٣ ـ الفضيحة: ما يُعاب، والشهرة بما يُعاب، الجمع: فضائح. جهد المقالة: قدر ما يحتمله حال من قلّ ماله. والجهد: الوُسع والطاقة.

٤ ـ الحيلة: الحذق وجودة النظر، والخديعة، والدقّة على التصرّف، وياؤها مقلوبة عن واو. التستر: التخفي. ورجل مستور: عفيف. يقال: امرأة ستيرة.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٦].

● اختلف العلماء في تقييم حديث حماد بن زيد، فقيل عنه: ليس بأهل أن يحدُث، كذلك اختلفوا في تقييم كلام عمرو بن عبيد، فقيل عنه هذا سيد شباب القرّاء ما لم يحدث، وقيل عنه أيضاً: كان يشتم الصّحابة ويكذب في الحديث، وفيهما قال ابن المبارك(*):

١ ـ أَيُّهَا الطَّالِبُ عِلْماً

إيت حمّادَ بن زَيْدْ

(*) أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَّ أَصحَابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وحسّنه السيوطي في الحديث رقم ٨٧٣٤. أخرج الإمام أحمد في مسنده، والإمام مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه في الحديث رقم (٣٨) و(٤٠) عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «من حدَّث عني بحديث يرى أنّه كذب فهو أحد الكذابين» وصحّحه السيوطي في الحديث رقم (٨٦٣١).

١ ـ حماد بن زيد: بن درهم الأزدي الجهضمي، مولاهم، البصري، أبو إسماعيل، شيخ العراق في عصره، ومن حفّاظ الحديث المجوّدين، يُعرف بالأزرق، أصله من سبي سجستان، وُلِد في البصرة سنة ٩٨هـ الموافق ٧١٧م وتوفي فيها سنة ١٧٩هـ الموافق ٧٩٥م، وكان ضريراً طرأ عليه العمى، يحفظ أربعة آلاف حديث، خرّج أحاديثه الأئمة الستّة. (انظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢١١، وتهذيب التهذيب: ٣/ ١٦٧، وحلية الأولياء: ١/ ١٦٧، واللباب: ١/ ٣٦، وتهذيب الأسماء واللغات: ١/ ١٦٧، والأعلام: ٢/ ٢٧١).

٢ ـ فَخُذِ العِلْمَ بِحِلْمٍ
ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدْ

٣ ـ وَذَرِ البِدْعَةَ مِنْ
آثَارِ عَمْرو بن عبيدْ

---

٢ ـ قيّده: سجّله. وقد ورد هذا البيت في سير أعلام النبلاء: ٧/ ٤٥٩ بهذا النص:
تَقْتَبِسْ حِلْماً وَعِلْماً ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدْ
وفي معنى هذا البيت يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:
العلم صيد والكتابة قيده قيّد صيودك بالحبال الواثقه
فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتفكّها بين الخلائق طالقه

٣ ـ ذر: اترك ودع وبدد. البدعة: ما استحدثت في الدّين وغيره. عمرو بن عبيد: بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها، وأحد الزهّاد المشهورين، كان جدّه من سبي فارس، وأبوه نسّاجاً ثم شرطياً للحجّاج بن يوسف في البصرة، اشتهر عمرو بعلمه وزهده، وأخباره مع المنصور العباسي وغيره، وُلِد سنة ٨٠هـ الموافق ٦٩٩م، قال فيه المنصور: كلكم طالب صيد غير عمرو بن عبيد، له رسائل وخطب وكتب، توفي بمران قرب بمكة سنة ١٤٤هـ الموافق ٧٦١م، ورثاه المنصور. ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه، وفي العلماء من يراه مبتدعاً، قال يحيى بن معين: كان من الدهرية الذين يقولون إنّما الناس مثل الزرع. (انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٣٨٤، والبداية والنهاية: ١٠/ ٧٨، وميزان الاعتدال: ٢/ ٢٩٤، ومفتاح السعادة: ٢/ ٣٥، وطبقات المعتزلة: ٣٥ ـ ٤١، وأمالي المرتضى: ١/ ١١٧، والأعلام ٥/ ٨١). لم يرد البيت الثالث في سير أعلام النبلاء المرجع السابق.
[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (البداية والنهاية) الجزء ١٠ صفحة ٧٩. وكتاب (شعر الفقهاء) صفحة ١٠٦. وكتاب: (تاريخ الموصل للأزدي) صفحة ٢٨٣، وكتاب: (مختصر جامع العلم وفضله) صفحة ٦٤ وسير أعلام النبلاء: ٧/ ٤٥٩].

يد المعروف

● كانت خصلة الكرم تدفع إلى حثّ مستمر على بذل المعروف في كل الميادين، وتذكير المحسنين ألاّ يصدّوا عنه لما قد يرون من جحود لأيديهم وكفران لمعروفهم، فإن الله لن يضيع أعمالهم أبداً. قال ابن المبارك:

١ ـ يَدُ المعروف غنمٌ حيث كانت
تحمَّلها شَكُورٌ أو كَفُورُ

٢ ـ فَفي شُكْرِ الشَّكُورِ لَهَا جَزَاءٌ
وَعِنْدَ الله مَا كَفَرَ الكَفُورُ

---

١ ـ المعروف: الصنيعة التي يُسديها المرء إلى أخيه.

٢ ـ الشكور: الكثير الشكر من أسماء الله الحسنى.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٤١. وكتاب: (حماسة الظرفاء) الجزء ١ صفحة ١٦٩، وكتاب: (بهجة المجالس) صفحة ٣٠٧].

• ولعبد الله بن المبارك إلى جانب أشعاره في الحكمة والجهاد أبيات في مدح بعض الصَّحابة من أمثال عثمان وعلي، أو في مدح أئمة العلم كأبي حنيفة، وها هو يقول:

١ - رَأَيتُ أَبا حَنيفةَ كُلَّ يَوْمٍ
يَزِيدُ نَبَالَةً وَيَزِيدُ خيرا

٢ - وَيَنْطِقُ بِالصَّوابِ وَيَصْطَفِيهِ
إِذَا مَا قَالَ أَهْلُ الجُورِ جُورا

٣ - يُقَايِسُ مَنْ يُقَايِسُهُ بلُبٍّ
فَمَنْ ذَا يَجْعَلُونَ لَهُ نَظِيرا

(*) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت، انظر ترجمته في القصيدة رقم (٦٠).

١ ـ النبالة: النَّجابة والشَّرف.

٢ ـ الصواب: ضد الخطأ، والسّداد، والحق. الجور: العدول عن القصد، وهو نقيض العدل، والضلال عن الطريق.

٣ ـ يقايس: يقدر يقال: قايس بين الشيئين: وازن بينهما وبين مقدار أحدهما بالنسبة =

٤ ـ كَفَانَا فَقْدَ حَمَادٍ وَكَانَتْ
مُصِيبَتُنَا بِهِ أَمْراً كَبِيرا

٥ ـ فَرَدَّ شَمَاتَةَ الأَعْدَاءِ عَنَّا
وَأَبْدَى لِعَبْدَهُ عِلْماً كَثِيرا

= إلى الآخر. اللّب: خالص كل شيء، وجوهره، وحقيقته، واللّبّ: العقل، الجمع: ألباب. النظير: المثل والمساوي، الجمع: نظراء، وهي: نظيرة، وجمعها: نظائر.

٤ ـ حماد: هو حماد بن زيد: انظر ترجمته في القصيدة رقم (١٢) المصيبة: الشدة والنازلة، الجمع: مصائب.

٥ ـ الشماتة: الفرح ببلية العدو، وأشمته الله بعدوّه: جعله يشمت به، الجمع: شُمات، وهُنَّ شوامت.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٥، وكتاب: (عبد اللّه بن المبارك) للمحتسب صفحة ١٥٨].

● قال عبد الله بن المبارك:

١ ـ تَنَعَّمَ قَومٌ بِالْعِبَادَة والتُّقَى
أَلَذّ النَّعِيم لاَ اللَّذَاذَةَ بِالْخَمْرِ

٢ ـ فَقرَّت بِهِمْ طُولَ الحَيَاةِ عُيُونهُمْ
وَكَانَتْ لَهُمْ وَاللَّه زَاداً إِلَى القَبْرِ

٣ ـ على بُرْهَةٍ نَالُوا بِهَا الْعِزَّ والتُّقى
أَلاَ وَلَذِيذ العَيشِ بالبِرِّ والصَّبْرِ

---

١ ـ الألذ: الشهي: واللذة: نقيض الألم، وملاءمة الشيء للشهوة، والملذة: الشهوة. قال تعالى في سورة محمّد الآية ١٥: ﴿وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾.

٢ ـ قرَّت: سُرَّت ورضيت.

٣ ـ البرهة: المدة الطويلة من الزّمان (الصحاح)، يقال: أقمت عنده برهة من الدهر، كقولك عنده سنة من الدهر (اللسان)، الجمع: بُرَهٌ وبرهاتٌ، (يُجيز القاموس والتاج أن تشمل البرهة المدة القصيرة أيضاً).

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٥].

لا يظلم مقدار نقير

● يلبث المتوفى بقبره، حتى إذا قامت السّاعة انتفض وانتظم في موقف الحشر أمام حاكم خبير عادل لا يظلم الناس شيئاً. وفي هذا قال ابن المبارك:

١ ـ اسْتَوْوا عِنْدَ مَلِيكٍ
بِمَسَاوِيهِم خَبِيرِ

٢ ـ حَكَمٍ يَعْدِلُ لاَ يَظْـ
ـلِمُ مِقْدَارَ النَّقِيرِ

---

١ ـ المليك: ربّهم ومالكهم. بمساويهم: المساوي (لا تُهمَّز) المعايب والنقائص، ويقابلها: المحاسن. الخبير: من أسماء الله الحسنى، العالم بما كان وما يكون.

٢ ـ الحكم: من أسماء الله الحسنى، وهو الذي يفصل بين المتنازعين ويحكم في الأمور، قال تعالى في سورة الأنعام الآية ١١٤: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾. النقير: النقطة في ظهر النواة كالثقبة فيها، ويضرب بها المثل في القلّة.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١١، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

● إن الحياة تجربة ليست غير، يقدم كلٌ ورقة امتحانه ثم يمضي، وهكذا تتعاقب الأجيال، ويطوي القوم، وهم مستسلمون لهذا النظام السائد الرتيب، قال ابن المبارك:

١ ـ إِنَّـــــهـــــا دَارُ بَـــــلَاءٍ
وَزَوَالٍ وَغُـــــــــــــــــــرُورِ

٢ ـ كَـمْ لَـعَـمْـرِي صـرعَـتْ قَـبْـــ
ـلَـكَ أَصْـحَـابَ الـقُـصُـورِ

٣ ـ وَذَوِي الـهَـيْـئَـةِ فـي الـمـجْـــ
ـلِـسِ وَالْـجَـمْـعِ الـكَـثِـيـرِ

---

١ ـ البلاء: المصيبة. الزوال: الهلاك. الغرور: ما اغتر به من متاع الدنيا.
٢ ـ لعمري: تقال في القسم أي: لديني.
٣ ـ الهيئة: الشكل والصورة.

٤ ـ أُخْـرِجُـوا مِـنْـهَـا فَـمَـا كَـا

نَ لَـدَيْـهِـمُ مِـنْ نَـكِـيـرِ

---

٤ ـ نكير: الإنكار، قال تعالى في سورة الشورى الآية ٤٧: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٧، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦.

obeikandl.com

التمس الرّزق

● لا يبالي ابن المبارك في زهادته أن يطعم في دنياه القليل اليسير، ما دام ذلك حلالاً لا يوقعه في إثم ولا يُرديه في عذاب الآخرة، فيقول:

١ ـ وَالْتَمِسْ رِزْقَكَ مِنْ ذِي الْـ
ـعَرْشِ وَالرَّبِّ الْقَدِيرِ

٢ ـ وَارْضَ يَا وَيْحَكَ مِنْ دُنْـ
ـيَاكَ بِالْقُوتِ الْيَسِيرِ

٣ ـ وَاجْعَلَنْ ذَاكَ حَلاَلاً
تَنْجُ مِنْ نَارِ السَّعِيرِ

---

١ ـ التمس رزقك: اطلب الرّزق.

٢ ـ اليسير: القليل.

٣ ـ السعير: النّار ولهيبها، الجمع: سُعُرٌ. ونارٌ سعير: موقدة مهيجة.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٨، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

● كان فتى يصحب ابن المبارك، يسمع منه كل يوم شيئاً يسيراً، فسافر ابن المبارك وسافر معه، فورد على عبد الله رجل في منزله فحدَّثه ابن المبارك بحديث كثير، فوجد الفتى في نفسه فكتب إليه(*):

كُنتُ زَوَّاراً لكُمْ في أرضِكُم
وَأَنَا اليَومَ رَفِيقٌ في السَّفَرْ

ذَانِ حَقَّانِ عَظِيمان مَعاً
لَيْسَ كَالطَّيْرِ الَّذِي جَاءَ فَمَرْ

فكتب ابن المبارك رحمه الله إليه:

١ - غَايَةُ الصَّبْرِ لَذِيذٌ طَعْمُهَا
وَرَدِيءُ الذَّوْقِ مِنْهُ كَالصَّبِرْ

(*) وَجد: حزن.

١ - الصبر: التجلُّد وحُسن الاحتمال وترك الشكوى، وضبط النفس، وكظم الغيظ، والشجاعة، وسعة الصدر. الذوق: الحاسة التي تميّز بها الطعوم وتكون بواسطة الجهاز الحسّي في الفم، ومركزه اللّسان. الصّبِر: عُصارة شجر مرّ تستعمل =

٢ ـ إِنَّ فـي الـصَّـبْـرِ لَـفَـضْـلاً بَـيِّـنـاً
فَـاحْـمِـلِ الـنَّـفْـسَ عَـلَـيْـهِ تَـصْـطَـبِـر

= في الطب، واحدته صبرة، الجمع: صُبُورٌ. وقد ورد هذا البيت في (شعر الفقهاء) ٣٣١ بهذا النص:

آخِـرُ الـعِـلْـم لَـذِيـذٌ طَـعْـمُـهُ وَبَـذِيءُ الـذَّوقِ مِـنْـهُ كـالـصَّـبِـرْ

٢ ـ تصطبر: تحتمل الصبر.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٦، وكتاب: (عبد الله بن المبارك) للمحتسب صفحة ١٥٩ وكتاب (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣١].

obeikandl.com

● ولابن المبارك:

١ ـ يـا عَـائِـبَ الـفَـقْـرِ أَلاَ تَـزْدَجِـرْ
عَـيْـبُ الـغِـنَـىٰ أَكْـثَـر لَـوْ تَـعْـتَـبِـرْ

٢ ـ مِـنْ شَـرَفِ الـفَـقْـرِ وَمِـنْ فَـضْـلِـهِ
عَـلَـىٰ الـغِـنَـىٰ لَـوْ صَـحَّ مِـنْـكَ الـنَّـظَـرْ

٣ ـ إِنَّـكَ تَـعْـصـي لِـتَـنَـالَ الْـغِـنَـىٰ
وَلَـيْـسَ تَـعْـصـي الله كَـيْ تَـفْـتَـقِـرْ

---

١ ـ عائب: مصدر عاب: وصمه بالنقص والمذمّة، الجمع: عيوب. تزدجر: تنتهر وتمتنع. تعتبر: تتدبّر وتتعظ.

٢ ـ من شرف الفقر: من كرامته.

٣ ـ أي: أنك تعصي ربك في حقوقه لكي تجمع المال، ولا يعقل أن يعصي الغني ربّه ليكون فقيراً، لكنه يعصيه بعدم طاعته له ويبدد أمواله عندها يفتقر، فيكون هذا امتحان بالنسبة له.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٦].

● قال الكُدَيمي: حدَّثنا عبدة بن عبد الرَّحيم قال: كنت عند فضيل بن عياض وعنده ابن المبارك، فقال قائل: إن أهلك وعيالك قد احتاجوا مَجهودين محتاجين إلى هذا المال، فاتَّقِ الله، وخذْ من هؤلاء القوم، فزجره ابنُ المبارك، وأنشأ يقول(*):

١ ـ خُـذْ مِـنَ الـجَـارُوشِ والآ
رُزِّ والـخُـبْـزِ الـشَّـعِـيـرْ

٢ ـ وَاجْـعَـلَـنْ ذَاكَ حَـلاَلاً
تَـنْـتُـجُ مِـنْ حَـرِّ الـسَّـعـيـرْ

(*) فضيل بن عياض: انظر ترجمته في الفصل الثالث القصة رقم ٩.

١ ـ الجاروش: مصدر جرش: القمح لم ينعم دقه فهو مجروش. والجريش: المجروش من الحبوب وغيرها.

٢ ـ السَّعير: النار ولهيبها، الجمع: سُعُر، ونار سعير: موقدة مهيجة، قال تعالى في سورة الشورى الآية ٧: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

٣ ـ وَأَنَأَ مَا اسْتَطَعْتَ هَذَا
كَ اللهُ عَنْ دَارِ الأَمِيرْ

٤ ـ لا تَزُرْهَا وَاجْتَنِبْهَا
إِنَّهَا شَرٌّ مَزُورْ

٥ ـ تُوهِنُ الدِّينَ وَتُدْ
نِيكَ مِنَ الحُوْبِ الكَبِيرْ

٦ ـ قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ يَا
مَغْرور فِي حُفْرَةِ بِيرْ

٧ ـ وَأَرْضَ يَا وَيْحَكَ مِنْ
دُنْيَاكَ بِالقُوتِ اليَسِيرْ

---

٣ ـ وأنأ: مصدر: نأي: النأي: البعد والمفارقة، وناءى عن الشَّرّ: أبعده، وانتأى: ابتعد، والمنتأى: الموضع البعيد، وتناءوا: تباعدوا.

٤ ـ اجتنبها: ابتعد عنها. مزور: مصدر: زور، وزاره زوراً وزيارة ومزاراً: قصده أو أتاه داره للأنس به أو لحاجة إليه.

٥ ـ توهن: تضعف، والوهن: الضعف في العمل أو الأمر أو البدن، والواهن. الضعيف. الحوب: الإثم والهلاك.

٦ ـ المغرور: المخدوع. وغرّه خدعه وأطمعه بالباطل: قال امرؤ القيس: (الديوان صفحة ٣٢):

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وأَنَّكِ مَهْما تأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلُ

٧ ـ ويح: كلمة ترحُّم وتوجُّع، يقال: ويحٌ لفلان، وويحاً له، وويحه، وقد تأتي بمعنى المدح والتعجب. اليسير: القليل، وشيء يسير: هيِّن.

٨ ـ إِنَّـــهَـــا دَارُ بَـــلاَءٍ
وَزَوَالٍ وَغُـــرُورْ

٩ ـ مَـــا تَـــرَىٰ قَـــدْ صَـــرَعْـــتَ
قَـبْـلَـكَ أَصْـحَـابَ الـقُـصُـورْ

١٠ ـ كَـــمْ بِـــبَـــطْـــنِ ٱلْأَرْضِ مِـــنْ
ثَـــاوٍ شَـــرِيـــفٍ وَوَزِيـــرْ

١١ ـ وَصَـغِـيـر الـشَّـأْنِ عَـبْـدٍ
خَـــامِـــلِ الـــذِّكْـــرِ حَـــقِـــيـــرْ

١٢ ـ لَـــوْ تَـــصَـــفَّـــحْـــتَ وُجُـــو
هَ الـــقَـــوْمِ فـــي يَـــوْمٍ نَـــضـــيـــرْ

١٣ ـ لَـــمْ تُـــمَـــيِّـــزْهُـــمْ وَلَـــمْ
تَـــعْـــرِفْ غَـــنِـــيـــاً مِـــنْ فَـــقِـــيـــرْ

---

٨ ـ البلاء: الفناء، والمصائب والمحن. الزوال: الهلاك. الغرور: ما اغترَّ به من متاع الدنيا. وابن المبارك يعني بقوله: الدنيا دار الفناء.

٩ ـ صرعت: طرحت أرضاً، وأهلكت. يقال: صرع الموت فلاناً أي: أهلكه.

١٠ ـ ثاو: مصدر ثوي. ثوى بالمكان: أقام واستقر وأطال الإقامة به فهو ثاوٍ، أي: مقيم، وثوى فلان: مات. والمثوى: المنزل الذي يُقام فيه، الجمع: مثاوي.

١١ ـ الخامل: الساقط الذي لا نباهة له، الجمع: خَمَلَةٌ. الحقير: المهان والمذل.

١٢ ـ تصفحت وجوه القوم: نظرت فيهم لتعرف أمورهم، أو لتتعرف على أحدهم. النضير: الحسن والجميل.

١٤ ـ خَـمَـدُوا فَـالـقَـوْمُ صَـرْعَـىٰ
تَـحْـتَ أَشْـقَـاقِ الـصُّـخُـورْ

١٥ ـ وَاسْـتَـوَوْا عِـنْـدَ مَـلِـيـكٍ
بِـمَـسَـاوِيـهِـم خَـبِـيـرْ

١٦ ـ احْـذَرِ الـصَّـرْعَـةَ يَـا
مِـسْـكِـيـنُ مِـنْ دَهْـرٍ عَـثُـورْ

١٧ ـ أَيْـنَ فِـرْعَـونُ وَهَـا
مَـانُ وَنَـمْـرُودُ الـنُّـسُـورْ

---

١٤ ـ خمدوا: سكنوا. صرعى: موتى. اشقاق الصخور: بقايا الصخور وحفرها.

١٥ ـ استووا: استقاموا واعتدلوا. المليك: الرب والمالك. قال تعالى في سورة القمر الآية ٥٥: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾. المساوي: (لا تُهْمَزْ): المعايب، والنقائص، ويقابلها المحاسن. (قيل لا واحد لها، وقيل واحدها: سوء على غير قياس).

١٦ ـ الصَّرعة: الموتة. العثور: مصدر عثر أي: سقط وتعس وزل وكبا.

١٧ ـ فرعون: انظر ترجمة الفراعنة في القصيدة رقم (٥١) هامان: (انظر ترجمته في المرجع السابق). نمروذ: النماردة هم ستة نفر: الأول: نمروذ بن كنعان بن حام بن نوح وهو الذي ملك الدنيا، وهو صاحب إبراهيم عليه السَّلام، والثاني: نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وهو صاحب النسور، وأمّه فرتن بنت يارب بن الدرمسيل بن محويل بن أخنوخ وهو إدريس عليه السَّلام (وهذا الذي عناه ابن المبارك) والثالث: نمروذ بن ماش بن إرم بن سام بن نوح، والرابع: نمروذ بن كنعان بن سنحاريب بن نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح، وقيل: هو نمروذ إبراهيم عليه السَّلام أيضاً. والخامس: نمروذ بن ساروع بن أرعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، =

١٨ ـ أَوَ مَـــا تَـــخَـــشَّـــاهُ أَنْ

يَـرمِـيـكَ بِـالْـمَـوْتِ الـمُـبـيـرْ

١٩ ـ أَوَ مَـــا تَـــحْـــذَرُ مِـــنْ

يَـوْمِ عَـبُـوسٍ قَـمْـطَـرِيـرْ

٢٠ ـ اقْـمَـطَّـرَ الـشَّـرُّ فِـيـهِ

بِـعَـذَابِ الـزَّمْـهَـريـرْ

فغشي على الفضيل، فردَّ ذلك ولم يأخذه.

= والسادس: نمروذ بن كنعان بن المضاض بن يقظان بن عبير بن أرفخشذ بن سام بن نوح. (المحبر لابن حبيب صفحة ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

١٨ ـ المبير: الكذاب والمفتري والظالم.

١٩ ـ العبوس: المتجهم. القمطرير من الأيام: الشديد الطويل المظلم. قال تعالى في سورة الإنسان الآية ١٠: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

٢٠ ـ اقمطَّ: جلل وحفظ. الزمهرير: شدة البرد. وزمهرت عينه: احمرت غضباً، وازمهر اليوم: اشتد برده. قال تعالى في سورة الإنسان الآية ١٣: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

[مصدر هذه القصيدة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٥ ـ ٤١٦].

● ذكر التدليس في مجلس كان فيه عبد الله بن المبارك، فقال فيه قولاً شديداً، ثم أنشد:

١ ـ دلَّسَ لِلنَّاسِ أَحَادِيثَهُ
والله لاَ يَقْبَلُ تَدْلِيسا

١ ـ التدليس: أن يروي الراوي عمّن عاصره ما لم يسمع منه بصيغة لا تقتضي السماع، أو يصف الشيخ الذي روى عنه بأوصاف لا تُعرف، وهو مذموم على الإطلاق، حتى بالغ إمام الجرح والتعديل شعبة بن الحجاج فقال: لأن أزني أحب إليّ ما أن أدلّس، وقال: التدليس أخو الكذب، والصحيح الذي رشحه أئمة الحديث وجهابذته أن ما رواه الموصوف بالتدليس بلفظ محتمل لم يصرح فيه بالسماع لا يقبل، وما صرّح فيه بالسماع يقبل، وهذا إذا كان المدلّس ثقة في روايته.
[مصدر هذا البيت من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤٠٨].

● وللإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

١ ـ مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَىٰ أَنْ تُدَنِّسَهُ
وَثَوبكَ الدَّهْرَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ

٢ ـ تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَها
إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَىٰ الْيَبَسِ

---

١ ـ دنَّس: لطخه بالوسخ. والدّنس: الوسخ، الجمع: أدناس.

٢ ـ النجاة: السلامة. اليبس: ما أصله من اليبوسة ولم يُعهد رطباً، واليابس: الجاف الصلب.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سمير المؤمنين) صفحة ٢٦].

obeikandl.com

● كان المبارك غالباً ما ينشد:

١ ـ كُـلُّ عَـيْـشٍ قَـدْ أَرَاهُ نَـكَـداً
غَـيْـرَ رُكْـنِ الـرُّمْـحِ فـي ظِـلِّ الـفَـرَسْ

٢ ـ وَقِـيـامٍ فـي لَـيـالٍ دُجُـنٍ
حَـارِسـاً لِـلـنَّـاسِ فـي أَقْـصَـىٰ الـحَـرَسْ

---

١ ـ النكد: كل شيء جرّ على صاحبه شرّاً. ركن الرمح: الجهاد.

٢ ـ الدّجْنُ: ظلمة الغيم في اليوم المطير، والمطر الكثير، الجمع: دُجون. أقصى الحرس: في أبعد مكان يتواجد فيه الجيش.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٦].

● قيل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟ فقال: أجزتَ في أرض فيها شوك؟ فقال: نعم. فقال: كيف كنت تصنع؟ فقال: كنت أتوقى. قال أبو هريرة: فتوقّ الخطايا. وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن المبارك(*):

١ ـ أَيَضْمَنُ لي فَتًى تَرْكَ المَعَاصي
وَأُرْهِنُهُ الكَفَالَةَ بِالْخَلاَصِ

(*) أبو هريرة: هو عبد الرَّحمن بن صخر الدوسي، صحابي كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧هـ. ولزم صحبة النبي ﷺ فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي، وولي إمرة المدينة مدة، ولما صارت الخلافة إلى عمر رضي الله عنه استعمله على البحرين، ثم رآه ليِّن العريكة مشغولاً بالعبادة، فعزله. وُلِد سنة ٢١ق.هـ الموافق ٦٠٢م وتوفي بالمدينة سنة ٥٩هـ الموافق ٦٧٩م. (انظر: تهذيب الأسماء واللّغات: ٢/ ٢٧٠، وصفة الصفوة: ١/ ٢٥٨، والإصابة في تمييز الصحابة ترجمة رقم ١١٧٩، والأعلام: ٣/ ٣٠٨).

١ ـ أرهنه: أكفله وأضمنه. الكفالة: الضمان، الجمع كفالات. الخلاص: النجاة والفوز.

٢ ـ أَطَاعَ اللَّهَ قَوْمٌ وَاسْتَرَاحُوا
وَلَمْ يَتَجَرَّعُوا غَصَصَ المَعَاصِي

obeikandl.com

---

٢ ـ يتجرعوا: يتكلفوا جرعة مرة بعد مرة. غصص: اعترض في حلقه شيء من الطعام أو الشراب فلم يكد يبتلعه.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (أدب الدنيا والدين) صفحة ٨٨ وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٤].

● بعد أن تظهر النتائج، فريق يفوزون بالجنة، خالدين فيها، وفريق يكبكبون على وجوههم في نار جهنم فتموج بهم وكلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها، قال ابن المبارك(*):

١ ـ أَفِي الجِنَانِ وَفَوز لاَ انْقِطَاعَ لَهُ
أَم الجَحِيمِ فَمَا تُبْقِي وَلاَ تَدَعُ

٢ ـ تَهوي بِهَلْكَاتِهَا طَوْراً وَتَرْفَعُهُمْ
إِذَا رَجَوْا مَخْرَجاً مِنْ غَمِّهَا وَقَعُوا

(*) يكبكبون: من: كب: متساقطون على وجوههم متعثرين في مشيهم، قال تعالى في سورة الملك الآية ٢٢: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

١ ـ الجنان: المفرد جنة، دار النعيم في الآخرة. الجحيم: اسم من أسماء جهنم، النار الشديدة التأجج، يقال: جحيم مستعرة.

٢ ـ الهلكات: الموت، إشارة إلى الآية الكريمة رقم ٢٢ من سورة الحج: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٣].

• وسمع بعضهم ابن المبارك وهو ينشد على سور طرسوس:

١ ـ وَمِنَ البَلاَءِ وَلِلْبَلاَءِ عَلاَمَةٌ
أَنْ لا يُرَىٰ لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ

٢ ـ العَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ في شَهَوَاتِها
وَالحُرُّ يَشْبَعُ مَرَّةً وَيَجُوعُ

---

١ ـ البلاء: الاختبار والتجربة والامتحان، قال تعالى في سورة الأنبياء الآية ٣٥: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾. النزوع: الذي يحنّ إلى وطنه ويشتاقه.

٢ ـ النفس: الروح، والذات.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٧. وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢. وكتاب: (بهجة المجالس) الجزء ٢ صفحة ٣٠٦، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

أهل الأمن في الدنيا هجوع

● أوحى الله جلّ جلاله إلى النبي داود عليه السّلام: يا داود كذب من ادّعى محبتي، وإذا جنّ الليل نام عنّي، أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه.

وفي هذا يقول عبد الله بن المبارك(*):

١ ـ إِذَا مَـا الـلَّـيْـلُ أَظْـلَـمَ كَـابَـدُوهُ
فَـيُـسْـفِـرُ عَـنْـهُـمُ وَهُـمُ رُكُـوعُ

٢ ـ أَطَـارَ الـخَـوْفُ نَـوْمَـهُـمُ فَـقَـامُـوا
وَأَهْـلُ الْأَمْـنِ فِـي الـدُّنْـيَـا هُـجُـوعُ

(*) داود عليه السّلام: النّبيّ، والد سليمان الحكيم عليه السّلام، وأحد أجداد السيّد المسيح، أنزل الله عليه الزبور. ورد ذكره في القرآن الكريم في ١٦ موضعاً. جنّ الليل: أظلم، الخلوة: الانفراد ومكانه.

١ ـ كابدوه: قاسوا شدّته وعانوا مشقته. يسفر: يكشف.

٢ ـ الهجوم: النوم ليلاً. والهجعة: النومة الخفيفة من أول الليل.

وفي قول ابن المبارك كان العلاّمة فتح الدين بن أمين الدّين الحكم التحريزي يتمثّل بهذه الأبيات:

يـا أيـهـا الـراقـد كـم تـرقـد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
وخـذ مـن الـلّـيـل ولـو سـاعـة ... تـحـظـى إذا مـا هـجـع الـرُّقَّـدُ
مـن نـام حـتـى يـنـقـضـي لـيـلـه ... لـم يـبـلـغ الـمـنـزل لـو يُـجـهـد

٣ ـ لَـهُـمْ تَـحْـتَ الـظَّـلامِ وَهُـمْ سُـجُـودٌ
أنِـيـنٌ مِـنْـهُ تَـنْـفَـرِجُ الـضـلـوعُ

٤ ـ وَخُـرْسٌ بِـالـنّـهـارِ لِـطـولِ صَـمْـتٍ
عَـلَـيْـهِـم مِـنْ سَـكِـيـنـتِـهِـمْ خُـشُـوعُ

---

٣ ـ الأنين: الصوت من ألم أو مرض. تنفرج: تنكشف عن الهمّ، الضلوع: المفرد: ضلع: القفص الصدري.

٤ ـ السكينة: الهدوء والطمأنينة وخشوع القلب. والبيت الثالث والرابع لم يردا في المستطرف وشعر الفقهاء.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (المستطرف في كل فن مستظرف) الجزء ١ صفحة ١٤. وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٠٦. وكتاب: (إحياء علوم الدِّين) الجزء ١ صفحة ٣٦٩، وكتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٢٠٦].

obeikandl.com

إن المحب لمن يحب مطيع

• روي أن زليخا لما آمنت وتزوّج بها يوسف عليه السَّلام، انفردت عنه وتخلَّت للعبادة، وانقطعت إلى الله تعالى، فكان يدعوها إلى فراشه نهاراً فتدافعه إلى الليل، فإذا دعاها ليلاً سوّفت به إلى النهار، وقالت: يا يوسف إنما كنت أحبّك قبل أن أعرفه، فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه، وما أريد به بدلاً. حتى قال لها: إن الله جلّ ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين. فقالت: أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقاً إليه فطاعة لأمر الله تعالى، فعندها سكنت إليه، فإذن من أحب الله لا يعصيه. وفي هذا يقول ابن المبارك(*):

(*) زليخا: زوجة العزيز السابقة، والتي أحبت يوسف، ودعته إلى نفسها فأبى، فلفقت عليه الكذب وادعت به أمام زوجها الذي فاجأها. ورد ذكرها في سورة يوسف رقم (١٢).

يوسف: النّبيّ عليه السَّلام ابن يعقوب، رماه إخوته في البئر حسداً، فأخذته قافلة وباعته في سوق العبيد، واشتراه عزيز مصر، ورد ذكره في القرآن الكريم. سوّفت: مطلت.

١ ـ تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ
هَذَا لَعَمْرِي فِي الفِعَالِ بَدِيعُ

٢ ـ لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ
إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

---

١ ـ لعمري: حياتي، تقال في القَسَم. البديع: المبدع الخالق، قال تعالى في سورة البقرة الآية ١١٧: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: موجدها، والبديع أيضاً: المُحْدث العجيب والمتفرد من بين نظائره، الجمع: بدائع.

٢ ـ في هذا الصدد يقول الشاعر:
وَأَتْرُكُ مَا أَهْوَىٰ لِمَا قَدْ هَوِيتَهُ
فَأَرْضَىٰ بِمَا تَرْضَىٰ وَإِنْ سَخِطَتْ نَفْسي

وقال الشاعر أيضاً:
أُرِيدُ وِصَالَه وَيُرِيدُ هَجْرِي فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (المحبة والشوق والأنس والرّضا). صفحة ٧٥].

obeikandl.com

● قال ابن سهم الأنطاكي: سمعت ابن المبارك ينشد:

١ - فَكَيْفَ قَرَّتْ لأَهْلِ العِلْمِ أَعْيُنُهُم
أَو اسْتَلَذُّوا لَذِيذَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا

٢ - وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لاَ بُدَّ مَوْرِدُهَا
وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ

٣ - وَالمَوْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْراً عَلاَنِيَةً
لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا

---

١ ـ قرَّت أعينهم: هدأت، كناية عن السرور، فهو قرير العين وعينه قريرةٌ، يقال: قَرَّ بهذا الأمر عيناً أي: سُرَّ ورَضي. استلذوا: وجوده لذيذاً، واللّذيذ: الشهي، والملذة: نقيض الألم، وملاءمة الشيء للشهوة أو الرغبة، قال الله تعالى في سورة محمّد الآية ١٥: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾. هجعوا: ناموا ليلاً، والهجوع: النوم ليلاً.

٢ ـ ضاحية: علانية. موردها: من: ورد أي: حضر ووصل وبلغ.

٣ ـ إضافة من كتاب (شعر الفقهاء) وليست في (سير أعلام النبلاء).

٤ ـ وَطَارَتِ الصُّحفُ في الأَيْدي مُنَشَّرةً

فِيهَا السَّرَائِرُ والجبَّارُ مُطَّلِعُ

٥ ـ إِمَّا نَعِيمٌ وَعَيْشٌ لاَ انْقِضَاءَ لَهُ

أَوِ الجَحِيمُ فَلاَ تُبْقِي وَلاَ تَدَعُ

٦ ـ تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْراً وَتَرْفَعُهُ

إِذَا رَجَوْا مَخْرَجاً مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا

٧ ـ لِيَنْفَعَ العِلْمُ قَبْلَ المَوْتِ عَالِمَهُ

قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

---

٤ ـ الصحف: ما يكتب فيه من ورق ونحوه، وقد عنى هنا ابن المبارك: كتابه إشارة إلى الآية الكريمة رقم ٧١ من سورة الإسراء: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾. منتشرة: متفرقة. السرائر: المفرد سر: أي ما يكتمه المرء في نفسه من الأمور، وهنا لا أحد يطلع على ما في الكتب سوى الله جلّ جلاله: الجبّار: من أسماء الله الحسنى. قال سيدي الدردير:

وَجُدْ لي بِعِزٍّ يَا عَزِيز وَقُوَّةٍ وَبِالْجَبرِ يَا جَبَّارُ بَدِّدْ عَدُوَّنَا

٥ ـ النَّعيم: كل ما يلتذ به ويتنَعم من طعم ومفرش وغير ذلك، وطيب العيش وحُسن الحال. انقضاء له: فناء وانقطاع. الجحيم: اسم من أسماء جهنم، والنّار الشديدة التأجج.

٦ ـ تهوي: توقع وتسقط من علو إلى سفل. الطور: المرّة والتارة. رجوا: تأمّلوا، من الرجاء. المخرج: الخروج، وزمان الخروج ومكانه. غمّها: كربها وحزنها. قمعوا: مصدر قمع: أي ضربه بالقمعة أو ضرب على أعلى رأسه.

٧ ـ الرُّجعى: الرجوع، قال الله تعالى في سورة العلق الآية ٨: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾. وفي: (شعر الفقهاء): يُشَفَّعُ العلمُ قبل الموت عالمه.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٣. وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٢].

٣١ إلى الله أشكو

● صالح الأخلاق طاقة دافعة إلى المبرّة والمحافظة على وشائج القربى، ومن طرق أبوابها فتح عليه منها خير جمّ وعطاء كثير. قال ابن المبارك:

١ ـ إِلَى الله أشكو لا إِلى النَّاسِ أَنَّني
أَرَى صالِحَ الأخلاقِ لا أَسْتَطِيعُها

٢ ـ أَرَى خَلَّةً في إِخْوَةٍ وَعَشِيرَةٍ
وَذِي رحمٍ ما كُنْتُ مِمَّنْ يُضيعُها

٣ ـ فَلَوْ طَاوَعَتْني بالمَكَارِمِ قُدْرَة
لَجَادَ عَلَيْها بالنَّوَالِ رَبيعُها

---

١ ـ صالح الأخلاق: أحسن الأخلاق.

٢ ـ الخَلة: الخصلة. يقال: فيه خلَّةٌ حسنة وخلَّة سيئة، الجمع: خلال. العشيرة: عشيرة الرجل: بنو أبيه الأقربون وقبيلته. ذو الرَّحم: القريب، أو القريب من جهة النساء.

٣ ـ المكارم: فعل الخير. وفي الحديث النبوي الشريف: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاقِ». وقال الشاعر:

عَلَى قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ وَتَأْتِي على قَدْرِ الكِرَامِ المكارِمُ

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٤٠].

● ولعبد الله بن المبارك:

١ ـ يـا طَـالِـبَ الْـعِـلْـمِ بَـادِرِ الـوَرَعَـا
وَهَـاجِـرِ الـنَّـوْمَ وَاهْـجِـرُ الـشَّـبَـعـا

٢ ـ يَـا أَيُّـهَـا الـنَّـاسَ أَنْـتُـمُ عُـشُـبٌ
يَـحْـصُـدُهُ الـمَـوْتُ كُـلَّـمـا طَـلَـعـا

---

١ ـ بادر: عاجل. الورع: التقوى، واجتناب المعاصي والشُّبهات. الشبع: ضد الجوع.
٢ ـ يحصده: يقطعه في إبان نضجه. طلع: نما وعلا.
[مصدر هذين البيتين من كتاب: (سمير المؤمنين) صفحة ٣٧].

obeikandl.com

لله درّ القنوع

● قال ابن المبارك:

١ ـ لِلّـه دَرُّ الـقُـنُـوعِ مِـنْ خُـلُـقٍ
كَـمْ مِـنْ وَضِـيـعٍ بِـهِ قَـد ارتَـفَـعـا

٢ ـ يَـضِـيـقُ صَـدْرُ الـفَـتَـىٰ بِـحَـاجَـتِـهِ
وَمَـنْ تـأَسَّـى بِـدُونِـهِ اتَّـسَـعـا

---

١ ـ للّه درك: أي لله ما بَذَلْتَ من خير وما قمت به من عمل تقال في المدح والتعجّب. القنوع: الكثير القناعة، والقناعة: رضا الإنسان بما قسم له. الوضيع: المحطوط القَدْرِ، الدنيء.

٢ ـ تأسى: تصبَّر وتعزَّى.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢، وكتاب: (بهجة المجالس) الجزء ٢ صفحة ٣٠٤].

obeikandl.com

المرء مثل الهلال

● حدّث هاشم بن مرثد قال: سمعت أبا صالح الفراء يقول: سمعت ابن المبارك يقول:

١ ـ الـمَـرْءُ مِـثْـلُ هِـلالٍ عِـنْـدَ رُؤْيَـتِـهِ
يَـبْـدو ضَـئِـيـلاً تَـرَاهُ ثُـمَّ يَـتَّـسِـقُ

٢ ـ حـتَّـىٰ إذا مـا تَـرَاهُ ثُـمَّ أَعْـقَـبَـهُ
كَـرُّ الـجَـديـدَيْـنِ نَـقْـصـاً ثُـمَّ يـمَّـحِـقُ

---

١ ـ الهلال: القمر في الليلتين الأولى والثانية أو في الليالي الثلاث الأُوَل من بدء الشهر القمري. يتسق: يجتمع وينضم وينتظم. قال تعالى في سورة الانشقاق: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾.

٢ ـ أعقبه: جاء خلفه. الكرّ: الرجوع وخلاف الفر. يمحق: يمحي ويستأصل. ومحق العدو: أهلكه، قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١٤١: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤٢٠].

● من محامد الأخلاق حسن المعاشرة، ودماثة الصحبة، والمعاملة اللّينة الرقيقة، وأن يأخذ كل فرد نفسه بالمحاسبة والمراقبة، ويعفو عن هفوات خلاّته في الوقت الذي لا يضنّ عليهم بالموعظة الحسنة والنصيحة الطيبة دون تجريح ولا مذمّة ولا تعييب، وإلاّ فقدهم واحداً واحداً. فيقول ابن المبارك:

١ ـ إِذا صَاحَبْتَ فِي الأَسْفَارِ قَوْماً
فَكُنْ لَهُمُ كَذِي الرَّحِمِ الشَّفِيقِ

٢ ـ بِعَيْبِ النَّفْسِ ذُو بَصَرٍ وَعِلْمٍ
غَنِيٌّ النَّفْسِ عَنْ عَيْبِ الرَّفِيقِ

٣ ـ ولاَ تَأْخُذْ بِعَثْرَةِ كُلِّ قَوْمٍ
وَلَكِنْ قُلْ هَلُمَّ إِلَىٰ الطَّرِيقِ

---

١ ـ الأسفار: جمع السفر. ذو الرحم: صاحب القرابة، وير الأقرباء.

٢ ـ العيب: الوصمة والنقيصة والمذمّة. الجمع: عيوب. الرفيق: الصاحب وخاصة في السَّفر، الجمع: رفقاء.

٣ ـ العثرة: الزلّة والسَّقطة، الجمع: عثرات. يقال: أقال الله عثرته أي صفح عنه. =

٤ ـ فإنْ تَأْخُذْ بِعَشْرَتِهِمْ يَقِلُّوا
وَتَبْقَىٰ في الزَّمَانِ بِلا صَدِيقِ

= هَلُمّ: كلمة دعاء إلى الشيء، نحو: هلم إلى العمل، أي: أقبل على العمل. وقد تلحق بها الضمائر في لغة نجد: هلم يا رجل، هلموا يا رجال، وهلمي يا فتاة.

٤ ـ أي لا تعب أحداً فتصبح وليس معك أحداً.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٠، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦، وكتاب: (عبد اللّه بن المبارك) للمحتسب صفحة ١٦٤. وقد نسبت الأبيات في مناقب الشافعي ٢/ ٨٤ إلى الإمام الشافعي].

obeikandl.com

عفت جوارحهم

● جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فقال له: رضي الله عنك، صف لي الوالهين بالله. فقال: هم كما أقول لك، وأنشد:

١ ـ مُسْتَوْفِدِينَ عَلَىٰ رَحْلٍ كَأَنَّهُمُ
رَكْبٌ يريدونَ أنْ يَمْضُوا وَيَنْتَقِلوا

٢ ـ عَفَّتْ جَوَارِحُهُمْ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ
فَالصِّدْقُ مَذْهَبُهُمْ وَٱلْخَوْفُ وَالْوَجَلُ

---

١ ـ مستوفد: قادم وارد. الرَّحْل: ما يوضع على ظهر البعير أو الناقة لركوب الرجال، وما يستصحبه الراكب من متاع. الجمع: أرحال ورحال. يقال ألقى أو حطّ فلان رحاله أي: نزل وأقام.

٢ ـ عفت: كفت عمّا لا يحل ولا يجمل. الجوارح: المفرد: الجارحة أي: العضو العامل من أعضاء الجسد كاليد والرجل. الوجل: الخوف والفزع، الجمع أوجال.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٦].

● ومما استحسن له من الشعر:

١ ـ قَـرِّبْ طَـعَـامَـكَ وابـذِلْـه لـمَـنْ دَخَـلا
وَاحْـلِفْ عَـلَـىٰ مَـنْ أَبَـى وَاشْـكُـرْ لِـمَـنْ أَكَـلا

٢ ـ وَلاَ تَـكُـنْ سَـامِـرِيَّ العَـرْضِ مُـحتَـشِـماً
مِـنَ الـقَـلِـيـلِ فَـلَـسْـتَ الـدَّهْـرَ مُـحـتَـفِـلا

---

١ ـ ورد هذا البيت في (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٦ بهذا النص:
أَخْـضِـرْ طَـعَـامَـكَ وَابْـذُلْـهُ لِـمَـنْ أَكَـلاَ
وَاحْلفْ عَلَى مَنْ أَبى واشْكُرْ لِمَنْ فَعَلاَ

٢ ـ سامري العرض: المسامر الذي يتحدّث ليلاً للتسلية، ولا يكون لكلامه أي فعل.
محتشم: مستحيي وراعي ذمّة. في شعر: (شعر الفقهاء) ٣٣٦ ورد بهذا النص:
وَلاَ تَكُنْ سَابِرِيّ العَرْض مُحْتَشِماً مِنَ القَلِيلِ فَلَسْتَ الدَّهْرَ مُحْتَفِلا
[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٧. وفي كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٦، وفي كتاب: (الجرح والتعديل) ٢/١٧٩، وفي كتاب: (البداية والنهاية) الجزء ١٠ صفحة ١٧٧.

● قال عبد الله بن المبارك:

١ ـ دُنْيَا تَدَاوَلَهَا العِبَادُ ذَمِيمَةً
شِيبَتْ بِأَكْرَه مِنْ نَقِيعِ الحَنْظَلِ

٢ ـ وَبَنَاتُ دَهْرٍ لاَ تَزَالُ مُلِمَّةً
فِيهَا فَجَائِع مِثْلَ وَقْعِ الجَنْدَلِ

---

١ ـ تداولها: تناوب عليها. الذميمة: من الذمّ نقيض المدح، العيب. الحنظل: نبات عشبي بري حولي معترش من فصيلة القرعيات، ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة، وكان ولا يزال يستعمل في الطب، ويزرع في الحدائق الطبيّة، الواحدة: حنظلة.

٢ ـ الملمة: النازلة الشديدة من شدائد الدهر، الجمع: ملمات. الفجائع: المفرد: الفجيعة أي: الرزيئة الموجعة. الجندل: الحجارة، والصخر، الواحدة: جندلة، الجمع: جنادل.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣١].

كفاك مكروه السؤال

● دخل أبو أُسامة على ابن المبارك، فوجد في وجهه عبد الله أثرَ الضُّرِّ(*)، فلما خرج، بعث إليه أربعة آلاف درهم، وكتب إليه:

١ ـ وَفَتَى خَلاَ مِنْ مَالِهِ
وَمِنَ المُرُوءَةِ غَيْرُ خَالِ

٢ ـ أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ
وَكَفَاكَ مَكْرُوه السُّؤَالِ

(*) الضُّرُّ: ضد النفع، وسوء الحال والفقر، والشدّة في البدن والمرض والهزال.

١ ـ خلا: فرغ. المروءة: آداب نفسية تحمل الإنسان على اتِّباع محاسن الأخلاق. وجميل العادات، وهي أيضاً الإنسانية، وكمال الرجولية والعفّة.

٢ ـ كفاه: جعلها كافية له، أي قام بها دونه فأغناه عن القيام بها. مكروه السؤال: شر طلب الصدقة.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٠].

● إن إباحة المرء للسانه أن يسترسل دونما ضابط محافظ سوف يهلكه، ولعل من الخير أن يهتم بأمره، فهو الذي يعكس ما يملكه من عقل وفكر، فلينظر إلى صور ما يعكسه لسانه من ذلك، وابن المبارك يقول:

١ ـ تَعَاهَدْ لِسَانَكَ إِنَّ اللِّسَانَ
سَرِيعٌ إِلَى المَرْءِ فِي قَتْلِهِ

٢ ـ وَهَذا اللِّسَانُ يُرِيدُ الفُؤَادَ
يَدُلُّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

---

١ ـ تعاهد: تفقد واحفظ. ورد هذا البيت في كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٩ بهذا النص:

احفَظْ لِسَانَكَ إِنَّ اللِّسَانَ حَرِيصٌ عَلَى المرْءِ فِي قَتْلِهِ

٢ ـ أي أن الألسن لا تنطق إلاَّ بما حوته العقول. ورد هذا البيت في كتاب (شعر الفقهاء) بهذا النّص:

وَإِن اللِّسَانَ بَرِيدُ الفُؤَادَ دَلِيل اللّسان على عقلهِ

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٥، وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٩].

● وذو العرش رحيم عليم، يؤتي من لَدُنْهُ الحِلْم ويؤيد بالتقوى، وفي هذا المعنى قال ابن المبارك:

١ ـ أَيَا رَبّ هَذَا العَرْشِ أَنْتَ رحِيمُ
وَأَنْتَ بِمَا تُخْفِي الصدُورُ عَلِيمُ

٢ ـ فَيَا رَبّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْماً فَإِنَّني
أَرَى الحِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ حَلِيمُ

٣ ـ وَيَا رَبّ هَبْ لي مِنْكَ عَزْماً عَلَى التُّقَى
أُقِيمُ بِهِ في النَّاسِ حَيْثُ أُقِيمُ

---

١ ـ العرش: المُلك. قال تعالى في سورة طه الآية ٥: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

٢ ـ الحلم: العقل. والأناة والتسامح والصفح والستر وضبط الطبع عن هيجان الغضب، الجمع: أحلام.

٣ ـ العزم: الصبر والجد، والثبات والشدّة فيما يعزم الإنسان عليه، قال تعالى في سورة لقمان الآية ١٧: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٠. وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

● وكما وعظ ابن المبارك بالزهد ودعا إليه وعظ أيضاً بالاستزادة من خير ما يعتزُّ به الإنسان، وهو الحرص على التقوى، ما يصحبها من هجران للمعاصي، ومن تسامح في المعاملة، ومن مُسالمة ودَعة، فيقول:

١ ـ أَلاَ إنَّ تَـقْـوى الله أَكْـرمُ نِـسْـبَـة
يُـسَـامـي بِـهَـا عِـنْـدَ الـفـخَـارِ كَـرِيـمُ

٢ ـ إِذَا أَنْتَ نَافَسْتَ الرِّجَالَ عَلَى التُّقى
خَـرَجْـتَ مِـنَ الـدُّنْـيَـا وَأَنْـتَ سَـلـيـمُ

٣ ـ أَرَاكَ امـرَأً تَـرْجُـو مِـنَ الله عَـفْـوَهُ
وَأَنْـتَ عَـلَـى مَـا لاَ يُـحِـبّ مُـقِـيـمُ

---

١ ـ النسبة: القرابة. يسامي: مصدر: سما أي: علا وارتفع، والسمو: العلو والرفعة. الفخار: أي الفخر: التمدح بالخصال والتباهي بالمال والجاه ونحو ذلك.

٢ ـ نافست: تسابقت للوصول إلى الشيء والظفر به والتفوّق فيه وتباريت دون أن تلحق الضرر، والتنافس: نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد في سبيل التفوق. التقى: التقوى، وهي خشية الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتقيّ: الذي يلزم الطاعة، ولا يقع في المعصية، ويتقي الله ويخافه، الجمع: أتقياء، وهي: تقية.

٣ ـ العفو: المغفرة: وأنت على ما لا يحبّ مقيم: أي أنك تفعل المعاصي.

٤ ـ وَإِنَّ امْـرَأً لاَ يَـرتَـجـي الـنَّـاسُ عَـفْـوَهُ
وَلَـمْ يَـأْمَـنـوا مِـنْـهُ الأَذَى لَـلَـئـيـمُ

---

٤ ـ يرتجي: يأمل. اللئيم. من شحّت نفس وساء أصله، واللؤم: أن يجتمع في الإنسان الشح ومهانة النفس دناءة الآباء.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٩، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) «المعهد» الجزء ٦].

obeikandl.com

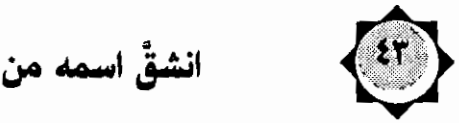

● قال العلاء بن الأسود: ذُكر جَهم عند ابن المبارك، فقال(*):

١ ـ عَجِبْتُ لِشَيْطَانٍ أَتَى النَّاسَ داعِياً
إِلى النَّارِ وَانْشَقَّ اسمُهُ مِنْ جَهَنَّمِ

(*) الجهم: هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب، رأس الجهمية، قال الذهبي: الضّال المبدع، هلك في زمان صغار التابعين سنة ١٢٨هـ الموافق ٧٤٥م، وقد زرع شراً عظيماً، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: «لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت» وأمر بقتله، فقتل. (انظر: ميزان الاعتدال: ١/١٩٧، والكامل لابن الأثير: حوادث سنة ١٢٨هـ. ولسان الميزان: ٢/١٤٢، والحور العين: ٢٥٥، وخطط المقريزي: ٣٤٩ و٣٥١، والأعلام: ٢/ ١٤١).

١ ـ انشق: أي اشتق. جهنم: ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، ويقال: فارسي معرّب ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، من أسماء النار التي يعذّب الله بها في الآخرة من استحق العذاب من عباده.

[مصدر هذا البيت من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١١].

● ومما قاله ابن المبارك في مسعر بن كدام:

١ ـ مَنْ كَانَ مُلْتَمِساً جَلِيساً صَالِحاً
فَلْيَأْتِ حَلْقَةَ مِسْعَرِ بنِ كدامِ

٢ ـ فِيهَا السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وأَهْلُها
أَهْلُ العَفَافِ وَعِلِّيَةُ الأَقْوَامِ

---

١ ـ ملتمس: طالب، والالتماس: الطلب. الجليس الصالح: المجالس الجيد والنافع. الحلقة: مجلس العلم، الجمع: حَلَق، وحلقات، وحِلَق. مسعر بن كدام: بن ظهير الهلالي العامري الروّاسي، أبو سلمة، من ثقات أهل الحديث، كوفي، كان يقال له «المصحف» لعظم الثقة بما يريه، وكان مرجئاً، وعنده نحو ألف حديث، وخرج له الستة، توفي بمكة سنة ١٥٢هـ الموافق ٧٦٩م. (انظر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ١١٣، وحلية الأولياء: ٧/ ٢٠٩، والكواكب الدُّرِّيَّة: ١٦٨. والأعلام: ٧/ ٢١٦).

٢ ـ السكينة: الهدوء والاطمئنان والخشوع. الوقار: الرزانة والحلم والسكينة والعظمة. العفاف: الامتناع عما لا يحل بدافع الطهر، وصون النفس عمّا لا يليق بمكارم الأخلاق، علية الأقوام: أرفعهم وأشرفهم.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٥، وكتاب: (تذكرة الحفاظ) الجزء ١ صفحة ١٨٩].

● وفي وصف هموم الحياة يقول ابن المبارك:

١ ـ هُمُومُكَ بالعَيْشِ مَقْرُونَةٌ
فَمَا تَقْطَعِ العَيْشَ إلاَّ بِهَمْ

٢ ـ إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ
تَرَقَّبْ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمْ

٣ ـ إِذا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا
فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

٤ ـ وَحَامِ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلٰهِ
فَإِنَّ الإِلٰهَ سَرِيعُ النِّقَمْ

---

١ ـ الهمّ: الحزن. مقرونة: مصحوبة ومجموعة.

٢ ـ الزوال: الهلاك والفناء، والتحوّل والانتقال.

٣ ـ النعمة: ما أُنْعِمَ به من رزق ومال، والحال الحسنة، والصنيعة والمنّة. ارعها: حافظ عليها وصُنها. وقد ورد هذا البيت في كتاب: (الحكم والأمثال في الشعر العربي) منسوباً إلى الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

٤ ـ وحام: وحافظ. سريع النقم: سريع الانتقام. (كذلك ورد هذا البيت في كتاب: =

٥ ـ حَـلاَوَةُ دُنْـيَـاكَ مَـسْـمُـومَـةٌ
فَـمَـا تَـأْكُـلُ الـشَّـهْـدَ إِلاَّ بِـسَـمْ

٦ ـ فَـكَـم قَـدَرٍ دَبَّ فـي مُـهْـلَـةٍ
فَـلَـمْ يَـعْـلَـمِ الـنَّـاسُ حَـتَّـى هَـجَـمْ

= (الحكم والأمثال في الشعر العربي) منسوباً إلى الإمام علي رضي الله عنه (صفحة ٥٢٠) بهذا النص:

وَحَـافِـظ عَـلَـيْـهَـا بِـتَـقْـوَى الإِلـه فـإنَّ الإلـهَ سَـرِيـع الـنـقـم

٥ ـ الشهد: العسل غير مفصول عن شمعه، القطعة منه: شَهدة، وشُهدة، الجمع: شِهاد، السُّمّ: كل مادة سامة مميتة.

٦ ـ القدر: وقت الشيء أو مكانه المقدّر له قال تعالى في سورة طه الآية ٤٠: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣١. وكتاب: (عبد اللّه بن المبارك) للمحتسب صفحة ١٦٨].

● كان عبد الله بن المبارك كثيراً ما يقول:

١ ـ وَإِذا صَحِبْتَ فَاصْحَبْ صَاحِباً
ذَا حَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَكَرَمْ

٢ ـ قَوْلُهُ لِلشَّيءِ: لاَ، إنْ قُلتَ: لاَ
وَإِذَا قُلْتَ: نَعَمْ، قَالَ: نَعَمْ

---

١ ـ الصاحب: المرافق والملازم والمعاشر لغيره. الحياء: الحشمة، وانقباض النفس عن القبائح والاستحياء. العفاف: الامتناع عمّا لا يليق ولا يحل بدافع الطهر، وصون النفس عمّا لا يليق بمكارم الأخلاق. الكرم: الجود، والصفح، ضد اللؤم. [مصدر هذين البيتين من كتاب: (الزهد والرقائق) صفحة ٥٨، وكتاب: (الجواهر المضيئة) الجزء ١ صفحة ٢٨١].

obeikandl.com

● من حُسن الخلق أن ينبذ المرء الإثم الذي يميت القلب، وإذا فعل ذلك حقاً كان سيداً حرّاً ليس تستعبده شهوة ولا يقهره هوى فيقول:

١ ـ رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ
وَيُورِثُكَ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

٢ ـ وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ القُلُوبِ
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

---

١ ـ الذُّنوب: المفرد: الذنب أي: الإثم والجرم والمعصية. الذلّ: نقيض العزّ، الضعف المهانة. الإدمان: المواظبة على الشيء وعدم الإقلاع عنه.

٢ ـ العصيان: ترك الطاعة وعدم الانقياد. أي خير لنفسك أن تعصي ما تشتهي نفسك.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (بهجة المجالس) الجزء ٢ صفحة ٣٣٤، وكتاب: (مختصر جامع بيان العلم) صفحة ٨٥، وكتاب: (أعلام الموقعين) الجزء ١ صفحة ١١، وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٠].

● وفي الملوك يقول عبد الله بن المبارك:

١ ـ وهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إلاَّ المُلُوكُ
وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُها

٢ ـ فَبَاعُوا النُّفُوسَ وَلَمْ يَرْبَحوا
ولَمْ تَغْلُ في الْبَيْعِ أَثْمَانُها

---

١ ـ الأحبار: المفرد: حبر، أي العالم. الرهبان: المفرد: الراهب أي، المتعبد في صومعته يتخلّى عن أشغال الدنيا وملاذها، زاهداً فيها معتزلاً أهلها، والرهبانية: التعبّد في الصوامع، وفي الإسلام ربانية لا رهبانية.

٢ ـ باعوا النفوس: ضحّوا بكل ما هو ثمين. لم تغل في البيع أثمانها: لم يربحوا في هذا التعبّد، ذلك أن العبادة بين الخلق.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (الحكم والأمثال في الشعر العربي) صفحة ١٦٠].

● أهم ما لعبد الله بن المبارك هذه القصيدة وسبب تأليفها أن الناس حفروا حفيراً في خراسان، فوجدوا فيه رأس إنسان، فوزنوا سناً من أسنانه فإذا فيها سبعة أساتير، فاهتز ابن المبارك لهذه الواقعة، ومضى يتصوّر ضخامة السابقين، وعظمة المتقدمين، ويتذكّر كيف طوتهم يد المنية وسرعان ما ذرفت عيناه بغزارة وقال(*):

١ ـ تَـذَكَّـرْتُ أَيَّـامَ مَـا قَـدْ مَـضَـىٰ
فَـهَـاجَ لِـي الـدَّمْـعَ سَـحّـاً هَـتُـونـا

٢ ـ فَـرَدَّدْتُ فـي الـنَّـفْـسِ ذِكْـراهُـمُ
لـيُـحـدثَ ذَلِـكَ لِـلـقَـلْـبِ لِـيـنـا

(*) الحفير: الحفرة. الأساتير: جمع إستار، وهو أربعة مثاقيل ونصف، والمثقال: درهم وثلاثة أسباع درهم، ووزن الدرهم ٣,١٢غ فالإستار الواحد ٢٠,٠٥غ أي وزن هذه السنّ يقارب ١٥٠غ. المنية: الموت.

١ ـ هاج: اضطرب وتحرّك. السّح: سحَّ الماء. سال من أعلى إلى أسفل، وكذا المطر والدمع. الهتون: الكثير القطر، يقال: عين هتون الدمع، الجمع: هُتُن، وهُتَّنٌ.

٢ ـ اللِّين: ضد الخشونة.

٣ ـ وَمَـا إنْ نَـزَال عَـلَـىٰ حَـادِثٍ
يَـطِـيـرُ لَـهُ الـقَـلْـبُ رَوْعـاً حَـزِيـنـا

٤ ـ وَفِـي كُـلِّ يَـوْمٍ وَفِـي مِـسْـيَـةٍ
تـكـونُ الـنَّـوائِـبُ بِـالْـمَـوْتِ فِـيـنـا

٥ ـ وَإِمَّـا قَـريـبـاً تُـراش بِـهِ
وَإِمَّـا شَـمَـالاً وإِمَّـا يَـمـيـنـا

٦ ـ إذا سَـكَـنَ الـرَّوْعُ عَـنْ مَـيِّـتٍ
بُـدِهْـنَـا بِـآخـر يَـنْـعَـىٰ الـسُّـكـونـا

---

٣ ـ الروع: الفزع والخوف والحرب. وفي هذه الأبيات ٣ ـ ٧ يستمر ابن المبارك في تفكيره بذلك الأثر العجيب، ويجعل منه عِبرة ناطقة باقية، وكأنما تخطر له حوادث أخرىٰ لا تقل عنه عظة ويتذكّر تلاحق النوائب وتتابع الوَفيات.

٤ ـ مسية: مساءً. النوائب: المفرد: النائبة أي النازلة والمصيبة. قال أَبو فراس الحمداني:

وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ، أَو أَلَمَّت مُصيبةٌ جَعَلْتُ لهم نَفْسي وَمَا مَلَكَتْ فِدى

٥ ـ تراش: راش الرجل: استغنى وجمع المال والمتاع، وارتاش فلان: حسنت حاله.

٦ ـ الروع: القلب، أَو موضع الفزع منه، والذهن والعقل، بدهنا: مصدر بده أي فاجأ، وبده فلاناً بالأمر: بدأه به واستقبله به. والبداهة: ما يفجأ من الأمر. ينعى: يذيع خبر موته، والنعي: إذاعة خبر موت الميت، والناعي: الذي يأتي بخبر الميت.

٧ ـ وَكَيْفَ الْبَقَاءُ عَلَىٰ مَا أَرَىٰ
سَتُؤْتِينَ عَمَّا قَلِيلٍ يَقِينَا

٨ ـ دَفَنْتُ الأَحِبَّةَ لَمْ آلُهَا
أُهِيلَ عَلَيْهَا تُرَاباً وَطِينَا

٩ ـ وَكَانَتْ تَعِزُّ عَلَىٰ أَهْلِهَا
وَأَعْزز بِهَا الْيَوْمَ أَيضاً دَفِينَا

١٠ ـ لَقَدْ غَيَّبَ الْمَوْتَ فِي لَحْدِهِ
وَقَاراً نَبِيلاً وَبَرّاً وَدِينَا

---

٧ ـ اليقين: الاطمئنان، والعلم الذي لا شك معه، واليقين عند الفقهاء: الاعتقاد الجازم = العلم الذي لا شكّ فيه. ومنه الشهادة على اليقين. قال الله تعالى في سورة المدثر الآية ٤٦ و٤٧: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾.

٨ ـ آلها: من وله أي: أتحير من شدة الوجد، فهو واله وولهان وهي والهٌ ووالهةٌ. وفي معنى هذه الأيات ٨ ـ ١٤: ها هم أولاء كرام أعزَّة يُوارون في مقابرهم، وفيهم من كان حبيباً إلى أهله، ولم يبرح من قلوبهم حتى بعد وفاته، وفيهم الوقور الشريف والتقي الصالح، وفيهم الأصحاب والأقارب.. كل أولئك غودروا، وآب أشياعهم وهم يتأوهون عليهم وفي أعينهم دموع آسية وفي قلوبهم لوعة دامية.

٩ ـ الدفين: المستور الذي واراه التراب.

١٠ ـ اللحد: القبر.

١١ ـ وَصَحْبِيَ وَالأَهْلُ فَارَقْتُهُم
وَلَيْتَ أَرَاهُم رِفَاقاً عزِينا

١٢ ـ كَأَنَّ نادبَ أَهْلِيهِمُ
حَنِينَ عشارٍ تُحِبُّ الحَنِينا

١٣ ـ وَإِخْوانِ صِدْقٍ لَحِقْنَا بِهِمْ
فَقَدْ كُنْتُ بِالقُرْبِ مِنْهُم ضَنِينا

١٤ ـ وَأُوحِشَتِ الدَّارُ مَنْ بَعْدِهِم
أَظَلُّ عَلَىٰ ذِكْرِهِمْ مُسْتَكِينا

١٥ ـ وَإِنْ كُنْتِ بِالعَيْشِ مُغْتَرَّةً
تُمَنِّيكِ نَفْسُكِ فيهَا الظُّنُونا

---

١١ ـ العزين: الجماعات المتفرقين. قال تعالى في سورة المعارج الآية ٣٧: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

١٢ ـ العشار: الناقة التي ولدت حديثاً، وفقدت ولدها.

١٣ ـ الضنين: الشديد البخل، والمتمسّك بالشيء الحريص عليه، الجمع: أضناء، وهن ضنائن. والمضَنَّةُ والمضِنَّةُ: ما يضن به لأنه نفيس، والمضنون: كل ما يُضنُّ به من الأشياء.

١٤ ـ مستكين: الخاضع، والساكن، والذاكر لهم.

١٥ ـ مغترة: مصدر غرر أي خدع وأطمع بالباطل. قال امرؤ القيس (الديوان صفحة ٣٢):

أَغَرَّكِ مِني أنَّ حُبّكِ قاتِلي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَل =

١٦ - فَـنَـادي قـبـورك ثُـمَّ انْـظُـري
مَـصَـارِعَ أَهْـلـك وَالأَقْـرَبِـيـنـا

١٧ - إِلَـىٰ أَيْـنَ صَـارُوا وَمَـاذَا لَـقُـوا
وَكَـانُـوا كَـمِـثْـلِـكِ فـي الـدّور حِـيـنَـا؟

١٨ - وَأَيْـنَ الـمُـلُـوكُ وَأَهْـلُ الـحِـجَـا
وَمَـنْ كُـنْـت تَـرْضَـيْـن أَوْ تَـحْـذَرِيـنَـا؟

١٩ - وَأَيْـنَ الَّـذيـنَ بَـنَـوْا قَـبْـلَـنـا
قُـرُونـاً تَـتَـابَـعُ تَـتْـلُـو الـقُـرُونـا؟

٢٠ - أُتـيـتُ بـسـنَّـيْـن قـد رُمَّـتـا
مـنَ الـحِـصْـنِ لَـمَّـا أَثَـاروا الـدَّفـيـنـا

= وفي شرح هذه الأبيات ١٥ ـ ١٩: هكذا نَاموس الحياة يجري على أفواج البشر من دون أن يتأبى عليه منهم مليك ولا سُوقة، ولا يفلت منه قديم ولا أخير.

١٦ المصارع: المفرد: مصرع أي المكان الذي يصرع فيه الصريع، ومصارع القوم: الأماكن التي قتلوا فيها.

١٧ ـ الدَّور: عود الشيء إلى ما كان عليه.

١٨ ـ أهل الحجا: أهل الفطنة والعقل، والجمع: أحجاء، والأحجية: لغز يتبارى الناس في حلّه.

١٩ ـ القرون: جمع قرن، وهو مائة عام.

٢٠ ـ الرمّة: القطعة البالية. والرمّ: الثَّرىٰ.

٢١ ـ عَـلَـىٰ وَزْنِ مَـنَّـيْـن إحْـدَاهُـمَـا
تُـقِـلُّ بِـهِ الـكَـفَّ شَـيْـئـاً رَزِيـنـا

٢٢ ـ ثَـلاثُـونَ أُخْـرىٰ عَـلَـىٰ قَـدْرِهَـا!
تَـبَـارَكْـتَ يَـا أَحْـسَـن الـخَـالِـقِـيـنـا

٢٣ ـ فَـمَـاذَا يَـقُـومُ لأفْـوَاهِـهِـم
وَمَـا كَـانَ يَـمْـلأ تِـلْـكَ الـبُـطُـونـا؟

٢٤ ـ وَكُـلٌّ عَـلَـىٰ ذَاكَ لاقَـىٰ الـرَّدَىٰ
فَـبَـادُوا جَـمِـيـعـاً فَـهُـمْ خَـامِـدُونـا

---

٢١ ـ المنّ = ١٣١١٤ حبة = ٢٥٧,١٤ درهماً = ٢٤ وقية = رطلان = ٨١٥,٣٩غ. الرزين: الثقيل.

٢٢ ـ ثلاثون أخرى: ثلاثون سناً أخرى في فم رأس الجمجمة التي شاهدها. تباركت يا أحسن الخالقينا: إشارة إلى الآية رقم ١٤ من سورة المؤمنون: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

٢٣ ـ تصاغرت: من صغر، والصغار: الذُّلُّ والضَّيم والهوان والضَّعة والاحتقار. قال الله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٢٤: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٢٤ ـ الردى: الهلاك. خامدون: الساكنون والساكتون. وفي معنى هذه الأبيات ٢٠ ـ ٢٥ يعود ابن المبارك إلىٰ خبر الحفير وما أدهشه من أمر السنين الضخمين، ويتذكّر بقية الأسنان الثلاثين، ويتخيّل صورة صاحبها وعظم جسمه، ويتساءل: ماذا كان يكفي هؤلاء؟ وما كان يُشبعهم؟ إن النفس لتتضاءل أمامهم حقاً وتقلّ، كيف لا وقد أتى الموت على أولئك الجبابرة الأقوياء.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٢ ـ ٣٣٤، و(تاريخ ابن عساكر) «المعهد» الجزء ٦ والأبيات السبعة الأخيرة من كتاب: (بهجة المجالس) الجزء ٢ صفحة ١٥٥، رواها الحسيب بن واضح].

لا أرى حرمة يوماً لمبتدع

● استنكر ابن المبارك على المتعصبين من ذوي الصدور الضيقة والنظرات القريبة الذين يتشيعون لعلي فيدفعهم تشيعهم إلىٰ كره ابن عفّان، وفي هذا يقول:

١ ـ مَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْ قَلْبِي مُشَايَعَةً
لِلْمُبْغِضِينَ عَلِيّاً وابنَ عَفَّانَ

٢ ـ إِنِّي لَأَمْنَحُهُمْ بُغْضِي عَلاَنِيَةً
وَلَسْتُ أَكْتُمُهُمْ فِي الصَّدْرِ كِتْمَانا

٣ ـ وَلاَ أَرَىٰ حُرْمَةً يَوْماً لِمُبْتَدِعٍ
وَهناً يَكُونُ إِذَنْ مِنِّي وَإِدْهَانا

---

١ ـ مشايعة: التأييد والمتابعة والصحبة. المبغض: من: بغض أي: مقت. علي: هو علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، انظر ترجمته في القصيدة رقم (٥١) ابن عفان: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، انظر ترجمته في القصيدة رقم (٥١).

٢ ـ العلانية: خلاف السِّرّ. الكتمان: إخفاء الشيء.

٣ ـ الحرمة: ما لا يحل انتهاكه من ذمة أو حق أو صحبة أو نحو ذلك. المبتدع: صاحب البدعة، والبدعة: ما استُحدث في الدِّين وغيره. الإدهان: مصدر: أدهن أي: صانع وألان وغش وأظهر خلاف ما أضمر.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٩٥، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

● روى إسحاق بن سُنين لابن المبارك:

١ ـ إنِّي امرؤٌ لَيْسَ في دِيني لِغامِزِهِ
لِينٌ وَلَسْتُ عَلَىٰ الإسْلامِ طَعَّانا

٢ ـ فَلاَ أَسُبُّ أبا بَكْر وَلاَ عُمَراً
وَلَنْ أَسُبَّ مَعَاذَ الله عُثْمَانا

---

١ ـ لغامزه: مصدر غمز أي أشار بعينه أَو حاجبه أَو جفنه. اللِّين: ضد الخشونة، طعَّان: الكثير الطعن، ومنه الطعّان في أعراض الناس.

٢ ـ أَبو بكر: هو عبد اللَّه بن أَبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أول الخلفاء الراشدين، وأوّل من آمن برسول الله ﷺ من الرّجال، وأحد أعاظم العرب، وُلِد بمكة سنة ٥١ق.هـ الموافق ٥٧٣م ونشأ سيّداً من سادات العرب في قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقّبه بعالم قريش، حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، ثم كانت له في عصر النبوّة مواقف كبيرة، فشهد الحروب واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة النبيّ ﷺ سنة ١١هـ، فحارب المرتدّين والممتنعين عن دفع الزّكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق، واتّفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد بن أَبي سفيان، والمثنى بن حارثة، كان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً، مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف توفي في المدينة سنة ١٣هـ الموافق ٦٣٤م. له في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً. قيل: =

. . . . . .

= كان لقبه «الصدِّيق» في الجاهلية، وقيل: في الإسلام لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء. (انظر: طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦ ـ ٢٨، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم ٤٨٠٨، والكامل لابن الأثير: ٢/ ١٦٠، وتاريخ الطبري: ٤/ ٢٦، وصفة الصفوة: ١/ ٨٨، والإسلام والحضارة العربية: ٢ /١٠٧ و٣٥١ وحلية الأولياء: ٤/ ٩٣، وتاريخ الخميس: ٢/ ١٩٩، والرياض النضرة: ٤٤ ـ ١٨٧، والأعلام: ٤/ ١٠٢).

عمر: هو عمر بن الخطّاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأوّل من لُقِّبَ بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يُضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السَّفارة فيهم، ينافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره، وهو أحد العمرين اللّذين كان النبي ﷺ يدعو ربّه أن يعزّ الإسلام بأحدهما، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، و قال عكرمة: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. وكانت له تجارة بين الشام والحجاز، بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة ١٣هـ بعهد منه، وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة، حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام، وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرّخون بالوقائع، واتخذ بيت مال للمسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا. وأول من دوّن الدواوين في الإسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لإحصاء أصحاب الأعطيات، وتوزيع المرتبات عليهم، وكان يطوف في الأسواق منفرداً، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم، وكتب إلىٰ عمّاله، إذا كتبتم لي فابدأوا بأنفسكم، روى الزهري قال: كان عمر إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم، يبتغي حدّة عقولهم. وله كلمات وخطب ورسائل غاية في البلاغة، وكان لا يكاد يعرض له أمر إلاّ أنشد فيه بيت شعر، وكان أول ما فعله لما ولي أن ردّ سبايا أهل الردّة إلى عشائرهن وقال: كرهت أن يصير السبي سبة على العرب، وكانت الدراهم في أيامه على نقش الكسروية، وزاد في بعضها «الحمد لله» وفي بعضها «لا إله إلاّ الله وحده» وفي بعضها «الحمد لله»، لهُ في كتب الحديث ٥٣٧ حديثاً، نقش على خاتمه: «كفى بالموت واعظاً يا عمر» ولقبه رسول الله ﷺ=

. . . . . .

= بالفاروق، وكنّاه بأبي حفص، وكان يقضي على عهد رسول الله ﷺ، قالوا في صفته: كان أبيض عاجي اللون، طوالاً مشرفاً على الناس، كثّ اللحية، منحسر الشعر من جانبي الجبهة يصبغ لحيته بالحناء، قتله أبو لؤلؤة المجوسي فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة سنة ٢٣هـ الموافق ٦٤٤م، بخنجر في خاصرته في صلاة الصبح، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال. (انظر: الكامل لابن الأثير: ٣/١٩، وتاريخ الطبري: ١/١٨٧ ـ ٢١٧، و٢/٢ ـ ٨٢، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم ٥٧٣٨، وصفة الصفوة: ١/١٠١، وحلية الأولياء: ١/ ٣٨، وتاريخ الخميس: ١/٢٥٩، ثم ٢/٢٣٩، وأخبار القضاة لوكيع: ١/١٠٥، والبدء والتاريخ: ٥/٨٨ و١٦٧، والكنى والأسماء: ١/٧، والإسلام والحضارة العربية ٢/١١١ و٣٦٤، والأعلام: ٥/٤٦).

عثمان: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية من قريش، أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشَّرين، من كبار الرجال الذين اعتزّ بهم الإسلام في عهد ظهوره، وُلِد بمكة سنة ٤٧ق.هـ الموافق ٥٧٧م، وأسلم بعد البعثة بقليل، وكان غنياً شريفاً في الجاهلية، ومن أعظم أعماله في الإسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله، فبذل ثلاث مئة بعير بأقتابها وأحلاسها، وتبرّع بألف دينار، صارت الخلافة إليه بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣هـ، فافتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص. وأتم جمع القرآن، وكان أبو بكر قد جمعه وأبقى ما بأيدي الناس من الرقاع والقراطيس، فلما ولي عثمان طلب مصحف أبي بكر فأمر بالنسخ عنه وأحرق كل ما عداه، وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرَّسول، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة، وأمر بالأذان الأول يوم الجمعة، واتخذ الشرطة، وأمر بكل أرض جلا أهلها عنها أن يستعمرها العرب المسلمون وتكون لهم. واتخذ داراً للقضاء بين الناس، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجلسان للقضاء في المسجد، روى عن النبي ﷺ ١٤٦ حديثاً، نقم عليه الناس لاختصاصه أقاربه من بني أمية بالولايات والأعمال، فجاءته الوفود من الكوفة والبصرة ومصر، فطلبوا منه عزل أقاربه فامتنع، فحصروه في داره يراودونه على أن يخلع نفسه، فلم يفعل، فحاصروه أربعين يوماً، وتسوَّر عليه بعضهم الجدار فقتلوه صبيحة عيد الأضحى وهو يقرأ=

٣ ـ وَلاَ ابـنَ عَـمِّ رَسُـولِ الله أَشْـتِـمَـهُ
حَـتَّـىٰ أُلَـبَّـسَ تَـحْـتَ الـتُّـرب أَكْـفَـانـا

= القرآن في بيته بالمدينة، ولقّب بذي النورين لأنه تزوج بنتي النبي ﷺ رقية ثم أم كلثوم. (انظر: الكامل لابن الأثير: حوادث سنة ٣٥، وغاية النهاية: ١/٥٠٧، وشرح نهج البلاغة: ٢/٦١، والبدء والتاريخ: ٥/٧٩ و١٩٤ ـ ٢٠٨، وحلية الأولياء: ١/٥٥، وتاريخ الطبري: ٥/١٤، وصفة الصفوة: ١/١١٢، والمحبر: ٣٧٧، وتاريخ الخميس: ٢/٢٥٤، والكنى والأسماء: ١/٨، والإسلام والحضارة العربية: ٢/١٣٨، والأعلام: ٤/٢١٠.

٣ ـ ابن عم رسول الله: هو الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن، أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد الأئمة العشرة المبشَّرين، وابن عمّ النبي ﷺ وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد السيّدة خديجة رضي الله عنها، وُلِد بمكة سنة ٢٣ق.هـ الموافق ٦٠٠م وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وكان اللواء في يده في أكثر المشاهد، ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال له: أنت أخي، ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٥هـ، فقام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان وقتلهم، وتوقى عليّ الفتنة، فتريث، فغضبت السيدة عائشة رضي الله عنها وقام معها جمع كبير، في مقدمتهم طلحة والزُّبير، وقاتلوا علياً، فكانت وقعة الجمل سنة ٣٦هـ. وظفر علي بعد أن بلغت القتلى بين الفريقين عشرة آلاف. ثم كانت وقعة صفِّين سنة ٣٧هـ. وخلاصة خبرها: أن الإمام علي عزل معاوية بن أبي سفيان من ولاية الشام، يوم ولي الخلافة، فعصاه معاوية، فاقتتلا مئة وعشرة أيام، قتل فيها من الفريقين سبعون ألفاً، وانتهت بتحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، فاتفقا سراً على خلع معاوية وعلي، وأعلن أبو موسى ذلك، وخالفه عمرو فأقر معاوية، فافترق المسلمون ثلاثة أقسام، الأول بايع لمعاوية وهم أهل الشام، والثاني حافظ على بيعته لعلي وهم أهل الكوفة، والثالث اعتزلهما ونقم على علي رضاه بالتحكيم، وكانت وقعة النهروان سنة ٣٨هـ بين علي وأباة التحكيم، وكانوا قد كفّروا علياً ودعوه إلى التوبة، واجتمعوا جمهرة، فقاتلهم، فقتلهم كلّهم وكانوا ألفاً وثمانمائة، فيهم جماعة من خيار الصحابة، وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرَّحمن بن ملجم المرادي غيلة =

٤ ـ وَلاَ الـزُّبَـيْـرَ حَـوَارِيَّ الـرَّسُـولِ وَلاَ
أُهْـدِي لِـطَـلْـحَـةَ شَـتْـمـاً عـزَّ أَوْ هَـانـا

= في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة واختلف في مكان قبره، روى عن النبي ﷺ ٦٥٨٦ حديثاً، ونقش على خاتمه «الله الملك» غالى الناس الجهلة به وهو حيّ، جيء بجماعة يقولون بتأليهه، فنهاهم وزجرهم وأنذرهم، فازدادوا إصراراً، فجعل لهم حفرة بين باب المسجد والقصر، وأوقد فيها النار وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا، فقذف بهم فيها، كان أسمر اللون، عظيم البطن والعينين، أقرب إلى القصر، أفطس الأنف، دقيق الذراعين، وكانت لحيته ملء ما بين منكبيه، وُلِد له ٢٨ ولداً منهم ١١ ذكراً و١٧ أنثى. انظر: الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٤٠، وتاريخ الطبري: ٦/ ٨٣، والبدء والتاريخ: ٥/ ٧٣، وصفة الصفوة: ١/ ١١٨، ومقاتل الطالبيين: ١٤، وحلية الأولياء: ١/ ٦١، وشرح نهج البلاغة: ٢/ ٥٧٩، وتاريخ الخميس: ٢/ ٢٧٦، والإسلام والحضارة العربية: ٢/ ١٤١، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم ٥٦٩٠، والرياض النضرة: ٢/ ٢١٨، والأعلام: ٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦. لبّس: لبس عليه الأمر: خلطه وستر حقيقته، وأظهر خلافها. الأكفان: المفرد: الكفن: ثياب يُلَفُّ فيها الميت.

٤ ـ الزبير: هو الزُّبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أَبو عبد اللَّه، الصحابي الشجاع، أحد المبشَّرين بالجنّة، وأول من سلّ سيفه في الإسلام، وهو ابن عمة النبي ﷺ، أسلم وله ١٢ سنة، وشهد بدراً وأُحُداً وغيرها، وكان على بعض الكراديس في اليرموك. وشهد الجابية مع عمر بن الخطّاب، قالوا: كان في صدر ابن الزبير أمثال العيون من الطعن والرمي، وجعله عمر بن الخطّاب في من يصلح للخلافة بعده، وكان موسراً كثير المتاجر، خلف أملاكاً بيعت بنحو أربعين مليون درهم، وكان طويلاً جداً، إذا ركب تخط رجلاه الأرض، قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل سنة ٣٦هـ الموافق ٦٥٦م، بوادي السباع على ٧ فراسخ من البصرة، وكان خفيف اللّحية أسمر اللون كثير الشعر، روى ٣٨ حديثاً. (انظر: تهذيب ابن عساكر: ٥/ ٣٥٥، وصفة الصفوة: ١/ ١٣٢، وحلية الأولياء: ١/ ٨٩، وذيل المذيل: ١١، وتاريخ الخميس: ١/ ١٧٢، والبدء والتاريخ: ٥/ ٨٣، والرياض النضرة: ٢٦٢ ـ ٢٨٠، وخزانة البغدادي: ٢/ ٤٦٨ ثم ٤/ ٣٥٠، والأعلام: ٣/ ٤٣م. الحواري: الخالص النقي من كل عيب ويقال: هو حواري فلان: أي ناصره وخاصته من =

٥ ـ وَلاَ أَقُولُ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ إِذاً
قَدْ قُلْتُ واللهِ ظُلْماً ثُمَّ عُدْوَانا

= أصحابه، الجمع: حواريون. أخرج البخاري في الحديث رقم (٢٦١) في كتاب الجهاد، باب فضل الطليعة، وفي الأحاديث (٢٦٩٢) و(٢٨٣٥) و(٣٥١٤) و(٣٨٨٧) و(٦٨٣٣). وأخرج الترمذي عن جابر، وأخرج الحاكم في المستدرك عن الإمام علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لكلّ نبيّ حوارياً وإنّ حواريّ الزبير» وصحّحه السيوطي في الجامع الصغير (ج١ ص٣٢٨ رقم ٢٤٣١).

طلحة: هو طلحة بن عبيد اللّه بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمّد، صحابي شجاع من الأجواد، وهو أحد العشرة المبشّرين، وأحد الستّة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش ومن علمائهم، وكان يقال له ولأبي بكر القرينان وذلك لأن نوفل بن حارث وكان أشد قريش، رأى طلحة وقد أسلم خارجاً مع أبي بكر من عند النبي ﷺ فأمسكهما وشدّهما في حبل، ويقال له: «طلحة الجود»، و«طلحة الخير»، و«طلحة الفيّاض» وكل ذلك لقّبه به رسول الله ﷺ في مناسبات مختلفة، ودعاه مرة «الصبيح المليح الفصيح»، شهد أُحُداً وثبت مع رسول الله، وبايعه على الموت، فأصيب بأربعة وعشرين جرحاً، وسلم، وشهد الخندق وسائر المشاهد، وكانت له تجارة وافرة مع العراق، ولم يكن يدع أحداً من بني تميم عائلاً إلاّ كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دينه، قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ الموافق ٦٥٦م وهو بجانب السيدة عائشة ودفن بالبصرة، روى ٣٨ حديثاً. (انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ١٥٢، وتهذيب التهذيب: ٥/ ٢٠، والبدء والتاريخ: ٥/ ٨٢، والجمع بين رجال الصحيحين: ٢٣٠، وغاية النهاية: ١/ ٣٤٢، والرياض النضرة: ٢/ ٢٤٩ ـ ٢٦٢، وصفة الصفوة: ١/ ١٣٠، وحلية الأولياء: ١/ ٨٧، وذيل المذيل: ١١، وتهذيب ابن عساكر: ٧/ ٧١ والمحبر: ٣٥٥، ورغبة الأمل: ٣/ ١٦ و٨٩، واللباب: ٢/ ١٨٨ والأعلام: ٣/ ٢٢٩.

الشتم: السباب. عزّ: قوي، وبرىء من الذل، فهو عزيز، وفي المثل: «مَنْ عَزَّ بَزَّ». هان: هوناً وهواناً ومهانة: ذَلَّ وحقر، قال المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إِيلامُ

٥ ـ أخرج الإمام الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: قال =

٦ ـ وَلاَ أقـولُ بِـقَـولِ الـجَـهْـمِ إنَّ لَـهُ
قَـوْلاً يُـضَـارِعُ أهْـلَ الـشِّـرْكِ أحـيـانـا

٧ ـ وَلاَ أقـولُ تَـخَـلَّـىٰ مِـنْ خَـلِـيـقَـتِـهِ
رَبُّ الـعِـبَـادِ وَوَلَّـىٰ الأمْـرَ شـيـطـانـا

٨ ـ مَـا قَـالَ فِـرْعَـوْنُ هَـذَا فـي تَـمَـرُّدِهِ
فِـرْعَـوْنُ مُـوسَـىٰ وَلاَ هَـامـانُ طـغـيـانـا

= رسول الله ﷺ: «من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وحسّنه السيوطي في جامعه (ج٢ ص٥٢٥ رقم ٨٧٣٤).

٦ ـ الجهم: هو جهم بن صفوان السمرقندي وقد تم التعريف عنه في القصيدة رقم (٤٣)، والجهمية: نسبة إلى الجهم فرقة دينية آمنوا بالجبرية ونفوا الصفات. يضارع: يشابه، والمضارعة: المشابهة. أهل الشرك: الذين يقولون بتعدد الآلهة.

٧ ـ الخليقة: كل مخلوق من ناس وبهائم. الشيطان: روحٌ شريرٌ مُغو، والحية الخبيثة، وكل عات متمرد من الجن والإنس وشيطان الشاعر: ما يلهمه الشعر في معتقد الجاهليين، الجمع: شياطين.

٨ ـ فرعون: الفراعنة ثلاثة نفر: أولهم: سنان بن الأشل بن عُلوان بن العبيد بن عريج بن عمليق بن يلمع بن عابر بن إسليحا بن لوذ بن سام بن نوح، ويكنى: أبا العباس، وهو فرعون إبراهيم. والثاني: الريان بن الوليد بن ليث بن فاران بن عمرو بن عمليق بن يلمع، وهو فرعون يوسف، والثالث: الوليد بن مصعب بن أبي أهون بن الهلواث بن فاران بن عمرو بن عمليق بن يلمع، وهو فرعون موسى، قال: كان فرعون يوسف جد فرعون موسى واسمه برخوز (المحبر: لابن حبيب ٤٦٧). موسى: عليه السَّلام، أشهر رجال التوراة، ومن أكبر مشترعي البشرية، وُلِد في مصر وأنقذته ابنة فرعون من المياه، فتربى في قصر أبيها. بدأ رسالته في سن الأربعين، ورد ذكره في القرآن الكريم في ١٣٦ موضعاً. تمرّد: جاوز حد أمثاله ولم يقبل موعظة، وتمرد على الناس: عتا عليهم واستكبر. هامان: =

٩ ـ اللهُ يَـدْفَـعُ بـالـسُّـلْـطَـانِ مُـعْـضِـلَـةً
عَـنْ دِيـنِـنـا رَحْـمَـةً مِـنْـهُ وَرِضْـوَانـا

١٠ ـ لـولا الأَئِـمَّـةُ لَـمْ تَـأْمَـنْ لَـنـا سُـبُـلٌ
وَكَـان أَضْـعَـفُـنَـا نَـهْـبـاً لِأَقْـوَانـا

= وزير فرعون، ورد ذكره في القرآن الكريم بمخاطبة فرعون له ليبني له صرحاً يصعد فيه إلى إله موسى. قال الله تعالى في سورة غافر الآية ٣٦: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾. الطغيان: مجاوزة الحدِّ في الظُّلم أو الكفر أو في اندفاق الماء.

٩ ـ المُعضلة: المسألة المشكلة التي لا يُهتدى لوجهها، والمعضلات: الشدائد. الرضوان: الرضا.

١٠ ـ السُّبل: المفرد: السبيل أي: الطريق (يذكّر ويؤنّث). كان أضعفنا نهباً لأقوانا: أي أن القوي ينهب ويأكل ويقتل ويسلب الضعيف كما كانت هي الحال في الحياة الجاهلية، قبل مجيء سيد البشر النبي الأعظم الذي هذّب النفوس، وأدّبها وجمّلها، وجعلها متفانية في حب البعض والإيثار شعارها.

يقال: إن هارون الرشيد عندما سمع هذا الشعر أعجبه، فلما بلغه موت عبد اللّه بن المبارك بهت، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فنادى الفضل بن الربيع وقال له: يا فضل: إيذن للناس يُعزُّونا في ابن المبارك، أما هو القائل:

الله يَدفَعُ بالسُّلطانِ مَعْضِلَة عَنْ ديننا رَحْمَةً مِنْهُ ورضوَانا

فمن الذي يسمع هذا من ابن المبارك، ولا يعرف حقَّنا؟

وقد ورد البيت رقم ٩ والبيت رقم ١٠ في حلية الأولياء: الجزء ٨ صفحة ١٦٤. وفي شعر الفقهاء صفحة ١٨٩، وبهجة المجالس الجزء ١ صفحة ٣٣٢. كما ورد البيت العاشر في كتاب ترتيب المدارك صفحة ٣٠٥ بهذا النص:

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

[مصدر هذه القصيدة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٣ و٤١٤].

● كان ابن المبارك إذا خرج من مكة المكرّمة يقول(*):

١ ـ بُغْضُ الحَيَاةِ وَخَوْفُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي
وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنا

٢ ـ إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ
مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلاَ وَاللَّهِ مَا اتَّزَنا

(*) مكّة: سبق التعريف عنها في الفصل ٣ في القصة رقم ٩ (البيت العتيق).

١ ـ البغض: الكره، نقيض الحب، وبُغض الشيء: صار ممقوتاً ومكروهاً، والبغضاء: شدة البغض والكراهية.

٢ ـ وزنت: رجحت. يعدل: يوازي، والعِدْلُ: المثل والنظير، وعدل الشيء: أقامه وسوّاه. وعدل الشيء بالشيء: سوّاه به وجعله مثله قائماً مقامه وهذا ما عناه ابن المبارك.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٦. وكتاب (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٤، وكتاب: (الزهد والرقائق) صفحة ٥٩].

● يستفيض الحديث عن الموت، منتهى الحياة، فهؤلاء فريق يئسون فيحزن لهلاكهم أحبتهم، ثم لا يلبث الآخرون حتى يسلكوا الطَّريق نفسها، أفلا انتبهوا إلى أنهم وإياهم في سياق واحد؟ وعلام لا تستيقظ النفس من غفوتها، وتبصر نهايتها والمورد واحد، وكل الناس وارده. قال ابن المبارك(*):

١ ـ أَرَى النَّاسَ يَبْكُونَ مَوْتَاهُمُ
وَمَا الحَيُّ أَبْقَى مِنَ المَيِّتِينا

٢ ـ أَلَيْسَ مَصِيرُهُمُ لِلْفَنا
وَإِنْ عَمَّرَ القَوْمُ أَيْضاً سِنِينا

(*) هذه المقالة إشارة إلى الآية الكريمة رقم ١٨٥ من سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

١ ـ المرجع السابق.

٢ ـ الفنا: حذفت الهمزة لضرورة الشعر أي الفناء: ضد البقاء. عمَّر: عاش طويلاً.

٣ ـ يُسَاقُونَ سَوْقاً إِلَى يَوْمِهِم
فَهُمْ فِي السِّيَاقِ وَمَا يَشْعُرونا

٤ ـ فَإِنْ كُنْتِ تَبْكِينَ مَنْ قَدْ مَضَى
فَبَكي لِنَفْسِكِ في الهَالِكِينا

٥ ـ فَإِنَّ السَّبِيلَ لَكُمْ وَاحِدٌ
سَيَتَّبِعُ الآخِرُ الأَوَّلِينا

---

٣ ـ يساقون: يشرعون في نزوع الروح. السِّياق: نزع الرُّوح، يقال: هو في السياق أي: في الاحتضار.

٤ ـ الهالكون: الموتى.

٥ ـ السبيل: الطريق (يذكّر ويؤنّث) وما وضح منه، والسبب والوصلة، الجمع: سبل.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٥. وكتاب (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

obeikandl.com

● قال عبد الله بن مبارك رحمه الله في ذمّ الملوك:

١ ـ أَرَى أُنَاساً بِأَدْنَى الدِّينِ قَدْ قَنِعُوا
وَلاَ أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالدُّونِ

٢ ـ فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنْ دُنْيَا المُلُوكِ كَمَا
اسْتَغْنَى المُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

---

١ ـ قنعوا: رضوا بما أعطوا، أو باليسير الذي يَسُدُّ حاجتهم، فهم قُنَّع. الدون: الأقل.
٢ ـ أي لا تأخذ الهبات من الأمراء والملوك.
[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٥].

obeikandl.com

● قال أحمد بن جميل المروزي: قيل لابن المبارك: إن إسماعيل بن عُلَيّة، قد ولي القضاء، فكتب إليه:

١ ـ يَا جَاعِلَ العِلْمِ لَهُ بَازِياً ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ المَسَاكِينِ

٢ ـ احْتَلْتَ للدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ... بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ

٣ ـ فَصِرْتَ مَجْنُوناً بِها بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ

٤ ـ أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِي سَرْدِهَا ... عَنِ ابنِ عَوْنٍ وابْنِ سِيرِينِ

---

١ ـ جاعل: اسم فاعل من جعل أي: صنع وفعل. البازي: من جوارح الطير يستخدم في الصيد، الجمع: بزاةٌ، وبَوازٍ.

٢ ـ احتلت: خدعت، والحيلة: الحِذْقُ وجودة النظر، والخديعة، والحُوَّلُ: المحتال الشديد الاحتيال والبصير بتحويل الأمور. الدنيا: الحياة الحاضرة التي تقابل الآخرة، الجمع: دُنا. والنسبة إليها: دنيوي. لذاتها: المفرد: لذة أي: نقيض الألم، وملاءمة الشيء للشهوة أو الرغبة.

٣ ـ المجنون: الذاهب العقل أو فاسده، الجمع: مجانين. الدواء: من داوى مداواة ودِواء. وهو ما يتعاطاه المرء لشفاء المرض بإذن الله تعالى. (معجم لغة الفقهاء) صفحة ٢١١.

٤ ـ رواياتك: المفرد: الرواية، القصة الطويلة. سرد الحديث أو القراءة: تابعهما وأجاد سياقهما. ابن عون: هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني، أبو عون البصري، كان جده أطربان مولى لعبد الله بن مغفل المزني، (انظر: طبقات ابن سعد: =

٥ ـ أَيـن روَايَـاتُـكَ فـيـمَـا مَـضَـى فـي تَـرْكِ أَبْـوَابِ الـسَّـلاَطِـيـنِ

٦ ـ إِنْ قُلْتَ أُكْرِهْتُ فَمَا ذَا كَذَا زَلَّ حِـمَـارُ الْـعِـلْـمِ فـي الـطِّـيـنِ

= ٢٦١/٧، وتاريخ البخاري الكبير الترجمة. والجرح والتعديل ٥/٦٠٥. والكامل في التاريخ: ٤٨٨/٢، وتهذيب التهذيب ٣٤٦/٥. ابن سيرين: هو محمّد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي ومن أشراف الكتّاب، وُلِد في البصرة سنة ٣٣هـ الموافق ٦٥٣. نشأ بزازاً، في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك بفارس، وكان أبوه مولى لأنس، له كتاب: تعبير الرؤيا وكتاب: منتخب الكلام في تفسير الأحلام، توفي سنة ١١٠هـ الموافق ٧٢٩م. (انظر: تهذيب التهذيب: ٩١٤/٩، والمحبر: ٣٧٩ و٤٨٠، ووفيات الأعيان: ٤٥٣/١، وحلية الأولياء: ٢٦٣/٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وتاريخ بغداد: ٣٣١/٥، ودائرة المعارف الإسلامية: ٢٠٢/١، والوافي بالوفيات: ١٤٦/٣، ومعجم ما استعجم: ٣١٩/١. ومعجم البلدان: ٢٥٣/٦، والأعلام: ١٥٤/٦).

٥ ـ السلاطين: المفرد: سلطان: الوالي أو الملك. (والنون في سلطان زائدة) وقد عنى ابن المبارك هنا: متى كنت تقف على أبواب الملوك؟

٦ ـ أكرهت: أُجبرت أو أُرغمت. فما ذا كذا: ليس هذا ما تقول. زلّ: زلق، وانحرف عن الصواب، وأخطأ، والزلل: ارتكاب الذنوب، والزَّلّة: السقطة والخطيئة. وأزله: أزلقه، وحمله على ارتكاب الذنب أو الخطيئة، واستزلّه: أزله، واستدرجه إلى الزلل، قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١٥٥: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١١ ـ ٤١٢. ومن كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٠. وكتاب: (الزهد والرقائق) صفحة ٥١].

● يقول عبد الله بن المبارك في ذمّ الّذين يؤثرون الدنيا على الآخرة. فيقول:

١ ـ قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتاً لِمَتْجَرِهِ وَقَدْ فَتَحْتَ لَكَ الحَانُوتَ بالدِّينِ

٢ ـ بَيْنَ الأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِلاَ غَلَقٍ تَبْتَاعُ بِالدِّينِ أَمْوَالَ المَسَاكِينِ

٣ ـ صَيَّرْتَ دِينَكَ شَاهيناً تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلَحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ

---

١ ـ الحانوت: الدكّان، ومحل التجارة، الجمع: حوانيت.

٢ ـ الأساطين: أساطين العلم والأدب: الثقات المبرّزون فيه، وحكماؤه وأفراده، والكلمة معربة عن الفارسية. الغلق: ما يُغلق به الباب يفتح بالمفتاح، والباب العظيم.

٣ ـ صيرت: جعلت. الشاهين: كلمة معرّبة، من جوارح الطير، من جنس الصقر، تصيد به الأعراب بأن ترسله على الطير، فيضربها بجناحيه ويرميها أرضاً، وأحياناً يرسل على بعض الحيوانات الأليفة كالأرانب فيصطادها.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٥ ـ ٣٣٦. وكتاب: (التاج المكلل) صفحة ٥٧].

● قال ابن المبارك:

١ ـ إِنْ تَلَبَّسْتَ عَنْ سُؤَالِكَ عَبْدَ اللَّهِ
تَرْجِعْ غَداً بِخُفَّيْ حُنَيْنِ

٢ ـ فَاعْنَتِ الشَّيْخَ بِالسُّؤَالِ تَجِدْهُ
سَلِساً يَلْتَقِيكَ بِالرَّاحَتَيْنِ

---

١ ـ تلبست: اختلط الأمر عليك. خفي حنين: قال أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال الجزء ١ صفحة ٢٩٦: قال أبو عبيد: أصله أن حنيناً كان إسكافاً من أهل الحيرة، فساومه أعرابي بخُفَّين، فاختلفا حتى أغضبه، فأراد غيظ الأعرابي فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين أحد خفيه وطرحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر، فلما مر الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخفَّ بخف حنين، ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى، فلما انتهى إلى الآخر نَدِمَ على تركه الأولَ، وقد كمن له حنينٌ، فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حنينٌ إلى راحلته وما عليها فذهب بها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلاَّ الخُفَّانِ، فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ فقال: جئتكم بِخُفَّي حُنَين، فذهبت مثلاً. ويضرب هذا المثل عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

٢ ـ اعنت: مصدر: عنت: شَدَّد عليه وألزمه بما يصب عليه أداؤه. السلس: السهولة والانقياد. الراحتان: مثنى: الراحة أي: الكف مع الأصابع، أي يلتقيك فرحاً مسروراً.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٣٢].

● قال أبو أمية الأسود: سمعت ابن المبارك يقول: أُحب الصّالحين، ولستُ منهم، وأبغضُ الطالحين، وأنا شَرٌّ منهم، ثم أنشأ يقول:

١ ـ الصَّمْتُ أَزْيَنُ بِالْفَتَىٰ
مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِه

٢ ـ وَالصِّدْقُ أَجْمَلُ بِالْفَتَىٰ
فِي القَوْلِ عِنْدِي مِنْ يَمِينِه

٣ ـ وَعَلَىٰ الفَتَىٰ بِوَقَارِهِ
سِمَةٌ تَلُوحُ عَلَىٰ جَبِينِه

---

١ ـ الصمت: السكوت، وعدم النطق. أزين: أحسن وأفضل. المنطق: الكلام. قال الله تعالى في سورة النمل الآية ١٦: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾.

٢ ـ الصدق: قول الحق ونقيض الكذب. روى ابن النجار عن الفضل، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصدق بعدي مع عمر حيث كان» انظر: الجامع الصغير للسيوطي الحديث رقم (٥١٤١).

وقال الواسطي في الصدق:

الصدقُ يعقدُ فوقَ رأس ... سِ حليفه بالصدقِ تاجا
والصدقُ يقدح زنده ... في كلِّ ناحيةٍ سراجا

٣ ـ الوقار: الرزانة. السّمة: العلامة والبينة.

٤ ـ فَمَنِ الَّذِي يَخْفَىٰ عَلَيْـ
ـكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ قَرِينِهِ

٥ ـ رُبَّ امْرِىء مُتَيَقِّنٍ
غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَىٰ يَقِينِهِ

٦ ـ فَأَزَالَهُ عَنْ رَأْيِهِ
فَابْتَاعَ دُنْيَاهُ بِدِينِهِ

---

٤ ـ القرين: المصاحب، والمقارن.

٥ ـ المتيقن: المتثبت والمتحقق والواضح. واليقين: العلم الحاصل عن نظر واستدلال. وعلم يقين: ليس فيه شك، وفي الفلسفة: اطمئنان النفس إلى حكم مع الاعتقاد بصحته، يقال: أنا على يقين من الأمر أي: عالم به حق العلم.

٦ ـ أزاله: حوّله ونقله.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٨. وكتاب (حلية الأولياء) الجزء ٨ صفحة ١٧٠، وكتاب: (الزهد والرقائق) صفحة ٥٨].

● مدح ابن المبارك الإمام أبو حنيفة وأشاد بدقة قياسه، وغزارة اطّلاعه، وتمكّنه أن يسد الفجوة المتسعة التي تركها موت شيخه حماد بن أبي سليمان، فيقول:

١ ـ لَقَدْ زَانَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا عَلَيْهَا
إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَهْ

---

١ ـ أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت التميمي بالولاء، الكوفي إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقّق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنّة، قيل: أصله من أبناء فارس، وُلِد في الكوفة سنة ٨٠هـ الموافق ٦٩٩م ونشأ بها، وكان يبيع الخزّ، ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء، فامتنع ورعاً، وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنّه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات سنة ١٥٠هـ الموافق ٧٦٧م. قال ابن خلكان: كان قوي الحجّة، من أحسن الناس منطقاً، قال الإمام مالك يصفه: رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته، وكان كريماً في أخلاقه، جواداً، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت، إذا حدَّث انطلق في القول وكان لكلامه دوي، وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. (انظر: تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٢٣ ـ ٤٢٣، والنجوم الزاهرة: ٢/ ١٢، والبداية والنهاية: ١٠/ ١٠٧، والجواهر المضية: ١/ ٢٦، ونزهة الجليس: ٢/ ١٧٦، وذيل المذيل: ١٠٢، وتاريخ الخميس: ٢/ ٣٢٦، والذريعة: ١/ ٣١٦، والانتقاء لابن عبد البر: ١٢٢ ـ ١٧١، ومفتاح السعادة: ٢/ ٦٣ ـ ٨٣، ومطالع البدور: ١/ ١٥، ودائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢، ومرآة الجنان: ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٢، والأعلام: ٨/ ٣٦).

٢ ـ بِـآثَـارٍ وَفِـقْـهٍ فِـي حَـدِيـثٍ
كَـآيَـاتِ الـزَّبُـورِ عَـلَـى الـصَّـحِـيـفَـهْ

٣ ـ فَـمَـا فِـي الـمَـشْـرِقَـيْـنِ لَـهُ نَـظِـيـرٌ
وَلاَ بِـالْـمَـغْـرِبَـيْـنِ وَلاَ بِـكُـوفَـهْ

٤ ـ رَأَيْـتُ الـعَـائِـبِـيـنَ لَـهُ سـفَـاهـاً
خِـلاَفَ الـحَـقِّ مَـعْ حـجَـجٍ ضَـعِـيـفَـهْ

تَمَّ الكِتَابُ والحمدُ لله رَبِّ العَالمين

---

٢ ـ الآثار: المفرد: أثر أي: ما خلفه السابقون. الزَّبور: الكتاب، الجمع زُبُرٌ، وغلب على صحف النبي داود عليه السَّلام. الصحيفة: ما يكتب فيه من ورق ونحوه.

٣ ـ المشرقان: المشرق والمغرب. نظير: المثل والمساوي. المغربان: المغرب المشرق. الكوفة: مدينة بالعراق على ساعد الفرات، أسّسها سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية قرب الحيرة سنة ٦٣٨م واتخذها الإمام علي مقراً له سنة ٦٥٧م وفيا قتل سنة ٦٦١م جعلها العباسيّون عصامة سنة ٧٤٩م، وتقلص ظلّها بعد تأسيس بغداد.

٤ ـ العائبون: الذامّون. السفاه: الجهالة. والسفيه: الجاهل، الجمع: سفهاء، وسُفَّهٌ.
[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٠٥ ـ ١٠٦ وكتاب (الفهرست) صفة الصفوة ٢٨٤، وكتاب: (عيون التواريخ) حوادث سنة ١٥٠].